

مؤتمر علماء فلسطين
في ذكرى النكبة الستين

مؤتمر علماء فلسطين في ذكرى النكبة الستين

لجنة القدس
بوزارة الأوقاف والشئون الدينية

المنعقد
يوم الخميس
١٧ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ
٢٢ مايو ٢٠٠٨م

www.palwakf.org



﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الإسراء: ١]

المحتويات

<u>الصفحة</u>	<u>البيان</u>
٩	تقديم - د. يوسف المنسي وزير الأوقاف والشئون الدينية
١٣	كلمة لجنة القدس - د. صالح الرقب وكيل وزارة الأوقاف
	الواقع الفلسطيني بين ألم النكبة وأمل الحرية والاستقلال
١٩	الأستاذ ناهض الرئيس
٢٥	القدس بين أهل الحق وأهل الباطل - د. خالد الخالدي
	موقف إدارة الرئيس جورج بوش الابن من قضية اللاجئين
٤١	د. وليد المدلل
	الاعتراف بشرعية الاحتلال (الأثار والنتائج)
٦١	د. يوسف كامل إبراهيم
٦٩	حق العودة (الوضع القانوني) - د. عبدالله أبو جربوع
٧٧	التأصيل الشرعي لحق العودة - د. يونس الأسطل
٨٥	التوصيات

اللجنة التحضيرية

الرئيس

الدكتور/ يوسف المنسي وزير الأوقاف والشؤون الدينية

رئيس اللجنة التحضيرية

الدكتور/ صالح الرقب وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الناطق الإعلامي

الدكتور/ عبد الله أبو جربوع وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المساعد

أعضاء اللجنة التحضيرية

الدكتور/ وليد عويضة	مدير التعليم الشرعي
الأستاذ/ شكر الطويل	منسق كلية الدعوة الإسلامية
الأستاذ/ وجيه أبو معيلق	مدير معهد عبد المحسن حمودة الشرعي
الأستاذ/ مصطفى أبو توهه	القائم بأعمال مدير الوعظ والإرشاد
الأستاذ/ رمزي النواجحة	العلاقات العامة والإعلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الإخوة والأخوات الكرام كل باسمه ولقبه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة
الإسراء: ١.

الحمد لله رب العالمين، ناصر المؤمنين المجاهدين، ومذل الجبابرة
المتكبرين، الحمد لله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم
الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على قائد الغر الميامين سيدنا محمد بن
عبد الله، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أيها الإخوة والأخوات، بدايةً نحمد الله أن سبحانه وتعالى أن شرفنا بأن
نكون من أهل الرباط والجهاد ونأمل من الله تعالى أن نكون من الذين قال
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على
الحق ، لعدوهم قاهرين حتى يأتئهم أمر الله وهم كذلك، قيل يا رسول الله أين
هم ؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

أيها الحضور الكريم تمر بنا في هذه الأيام ذكرى أليمة على قلوبنا
وعلى قلوب كل أحرار العالم، ذكرى النكبة، ذكرى احتلال فلسطين من
عصابة يهودية تجمعت من أصقاع الأرض بعون ودعم من قوى الظلم
والطغيان.

ستون عاماً مرت على نكبة فلسطين، ستون عاماً من المجازر والتهجير والعذاب، والعالم الظالم ذلك العالم المسمى بالمجتمع الدولي ينظر أليناً ولا يحرك ساكناً، بل يكافئ المستعمر الباغي الجلاذ ويسعى لقهر وإذلال الضحية. ولكن هيهات لهذا الشعب الفلسطيني المسلم الذي ملأ قلبه الإيمان بالله واستمسك بحقه وأرضه، وتوارث الوصية والعهد جيلاً بعد جيل، رغم العذاب والتهجير والقهر ورغم الحصار الظالم الذي بدأ منذ بدايات قيام دولة المسخ دولة الاحتلال الصهيوني، وازدادت ضراوته عاماً بعد عام، إلى أن وصلنا لما نحن فيه فامتألت سجون العدو بالأحرار، وارتوت أرض فلسطين بدماء الشهداء وامتزجت بأشلائهم ، لقد بذل العدو الصهيوني كل ما في جعبته من المجازر في إهلاك الحرث والنسل.

ثم تعاون المجرمون الغاصبون مع قوى الاستكبار العالمي علينا فأغلقوا الحدود والمعابر وحبسوا عنا كل تواصل مع الأشقاء من حولنا، دمرنا كل مقومات الاقتصاد، ومنعوا عنا الدواء والغذاء، ومنعوا عنا الوقود والكهرباء، منعوا عنا مواد البناء بما في ذلك القبور والأكفان، ولو استطاعوا حبسوا عنا الماء والهواء، وهم ينتظرون منا أن نرفع الرايات البيضاء، ينتظرون منا أن نُسلم لهم الديار ونتنازل عن ميراث الآباء والأجداد. وما علموا أن في هذه الديار الطائفة المنصورة بإذن الله وأن إليها تهفوا قلوب المسلمين مصداقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ستجدون أجناداً، جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن، فقال ابن حوالة: يا رسول الله اختر لي؟ قال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده. فهنيئاً لكم يا أهل الشام، هنيئاً لكم يا أهل فلسطين، هنيئاً لكل مسلم يتحرق شوقاً لبيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

أما أولئك الحمقى الذين يحتفلون بمرور ستين عاماً على اغتصابهم لفلسطين ونكبتهم لشعبنا، والذين يسعون لتغيير التكوين الجغرافي والسكاني

لفلسطين ، يهودون مدنها وقراها ويسعون لخراب المسجد الأقصى، ينفقون الجهد والمال لإفساد الواقع فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً بإذن الله، فليعلم كل أولئك أن وعد الله قادم لا محالة، وأن بشرياته تطل علينا في هذه الأيام، إنها بشريات الحرية، وزوال المحتل مهما طغى وتجبر.

نحن على يقين بوعد الله، فالحق باقٍ والباطل إلى زوال ، وهماهي صعوة الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها يتقدمهم خيرة علماء الأمة رغم كل محاولات التدجين والقهر، رأيتموهم في الذكرى الستين لنكبة فلسطين، وهما هي أمتكم العربية والإسلامية ومعهم كل أحرار العالم يهتفون بأعلى صوتٍ في وجه الظلم وجبروت الطغيان، هذا الطغيان الذي بدأ يتصدع سيتحطم بإذن الله على صخرة صمودكم وثباتكم، في الوقت الذي نرى فيه عروش الطغيان باتت تعد أنفاسها وهي ترى هزائمها في العراق وأفغانستان، في فلسطين وفي الشيشان في كل بلد يرفع فيه الأذان.

لقد جاء دوركم يا علماء المسلمين فأنتم قادة المرحلة، جاء دوركم لتوحيد الصف المسلم، جاء دوركم لتبصير الناس ولتجلية الحقيقة، جاء دوركم في كشف زيف منافقي هذا الزمان، جاء دوركم لحماية المسجد الأقصى، جاء دوركم لقيادة الأمة نحو تحرير الإنسان والأوطان، وليكن شعارنا دوماً قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

فيا علماء المسلمين ويا قادة الأمة إن فلسطين والأقصى الأسير يستصرخونكم، ونحن من موقعنا في وزارة الأوقاف والشئون الدينية في فلسطين نناديكم في كل أصقاع المعمورة بأن تأخذوا دوركم وتوحدوا صفكم وتبصروا أمتكم، فالأمانة ثقيلة والواجب عظيم والنصر قادم بإذن الله، وليكن لكم شرف المشاركة فيه والجزاء الجنة بإذن الله.

نشكر لكم حضوركم ومشاركتكم لنا في هذا المؤتمر، ونسأل الله سبحانه
وتعالى أن ينفع أمتكم بكم.. وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم و بـارك الله
فيكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

الدكتور يوسف المنسي

وزير الأوقاف والشؤون الدينية في فلسطين

كلمة رئيس اللجنة التحضيرية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد
فبعد مرور ستون عاماً على نكبة شعبنا الفلسطيني وتهجيريه من دياره واقتلعه من أرضه ووطنه وفي أجواء هذه الذكرى الأليمة لا يزال الشعب الفلسطيني متمسكاً بحقه في العودة إلى دياره وممتلكاته مسقطاً بذلك النظريات الصهيونية القائلة بنسيان الشعب الفلسطيني لأرضه بمرور الزمن. ويؤكد على أن الشعب الفلسطيني وحدة واحدة لا تتجزأ إن في الداخل الفلسطيني المحتل عام ٤٨ أو الجزء المحتل في العام ٦٧ أو في دول اللجوء والشتات والمنافي، وأن لا مكان للجغرافيا بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد. في ذكرى مرور ستون عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني تصاعدت حدة الهجمات الاستعمارية على القدس ومقدساتها وأراضيها وعقاراتها ومقدراتها، فيما تتقاسم سلطة الاحتلال مع الجمعيات اليهودية المتطرفة الأدوار في عمليات التهويد المتصارعة وفرض أمر واقع على أرض فلسطين المسلمة.

لقد احتلت فلسطين مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، فكانت الأرض البارة والمقدسة التي حوت مدينة القدس أولى القبلتين، وثالث المساجد المقدسة، ومنها كان معراج أيضاً إلى السماء، والقدس يوم القيامة هي أرض المحشر والمنشر. وفلسطين جزء من العقيدة. لقد ارتبطت فلسطين بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين من خلال المكانة التي احتلتها في العقيدة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي وفي تراث المسلمين، منذ أن فتحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

إن يقظة الأمة لا تكون إلا بالوعي ولا يقوم بهذا الدور مكملاً إلا العلماء والمفكرون جنباً إلى جنب مع رجال السياسة والإعلام وأهل الوعي

والثقافة، وقد كان للعلماء عبر تاريخ أمتنا دور بارز ومشهود في رص الصفوف وتوعية الناس بالأخطار والفرق الضالة والأفكار الهدامة وكان ذلك بدعم من السياسيين الذين رأوا في العلماء روح الأمة وشريانها النابض بالحياة. لذا فإننا في لجنة القدس التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية ندعو الإخوة علماء فلسطين بل علماء المسلمين إلى الحفاظ على هوية الشعب الفلسطيني العربية الإسلامية، وعدم دون ذوبانه في المجتمعات التي يعيش فيها، وضرورة تسليط الضوء على آلام وهموم الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده. واعتبار قضية اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة قضية سياسية وإنسانية وهو حق مقدس غير قابل للتفاوض أو التصرف، لأنه حق شخصي في الأساس لا تجوز فيه الإنابة أو التمثيل أو التنازل عنه لأي أسباب، وأن مجرد طرحه للمفاوضات يعتبر خرقاً للقانون الدولي. وهو في الوقت نفسه حق جماعي للشعب الفلسطيني يرتبط بحق تقرير المصير، وهو بهذا المعنى غير قابل للتفاوض أو الاستفتاء، ولا يملك أي مفاوض فلسطينيا كان أم عربيا الحق في التنازل أو التخلي عنه. ولذا فإننا ندعو كافة أبناء شعبنا الفلسطيني البطل إلى التمسك بحقه في العودة إلى دياره وممتلكاته وبيوته في فلسطين التاريخية ورفض كافة أشكال المساومة عليه.

ونصرة للقدس والمسجد الأقصى أصدر الدكتور يوسف المنسي وزير الأوقاف والشؤون الدينية المكلف بحكومة تسيير الأعمال برئاسة الأستاذ إسماعيل هنية قراراً بتشكيل لجنة القدس وذلك تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء رقم (٥٣) بتاريخ ٢٠٠٨/٣/١٨م والقاضي بالموافقة على تشكيل لجنة القدس داخل وزارة الأوقاف.

والهدف من تشكيل لجنة القدس هو تعريف الشعوب المسلمة بمدينة القدس والمسجد الأقصى بأسلوب علمي ومنهجي من خلال متخصصين في شؤون القدس لحشد كل القوى والطاقات والوسائل لإحداث تعبئة وتوعية في

الأمة وإيقاظ الهمم وشحذها، بالإضافة إلى العمل على تربية أبناء الأمة على حب المسجد الأقصى والتأكيد على إسلامية فلسطين ورفض أي حلول تقضى بإعطاء الوصاية لليهود على القدس والمسجد الأقصى بالمعاهدات والوثائق، واستثمار الطاقات وتسخيرها لنصرة مدينة القدس والدفاع عن المسجد الأقصى. وتسليط الضوء على ما يجرى في فلسطين عموماً والقدس خصوصاً وحشد الدعم والتأييد الذي يخدم قضية القدس. والتواصل مع علماء المسلمين المهتمين بقضية القدس والأقصى للتباحث معهم في وجوب نصرته المسلمين في أقطار المعمورة لقضية القدس والمسجد الأقصى.

لقد جاء دوركم يا علماء المسلمين فلسطين ويا قادة الفكر والرأي، فلسطين والقدس والمسجد الأقصى المبارك يستصرخكم، ونحن من موقعنا في لجنة القدس ووزارة الأوقاف والشئون الدينية نشكر لكم حضوركم ومشاركاتكم في هذا المؤتمر، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيكم خيراً وأن يسدد خطاكم..وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم..وبارك الله فيكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدكتور صالح حسين الرقب

رئيس لجنة القدس

وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية

غزة - فلسطين

المحاور

المحور الأول

النكبة أسبابها ونداء عيائها و نتائجها

رئيس الجلسة الأولى

د. صالح الرقب

رئيس لجنة القدس

وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية

الواقع الفلسطيني بين ألم النكبة وأمل الحرية والاستقلال أ. ناهض منير الرئيس

اتسم الواقع الفلسطيني بعد نكبة فلسطين بالصدمة والفجيرة والشتات. فحين يفقد الإنسان أعضائه في الحرب ويصبح مقتلًا من موطنه ويجد أنه قد فقد مقومات الحياة كلها من مسكن وعمل ومورد وبيئة اجتماعية دفعة واحدة فإن البرهة الأولى من هذه (النكبة) يغلب عليها الذهول والشلل وانعدام الثقة وتزعزع الإيمان لدى العناصر الأضعف في تكوينها النفسي . وربما تسببت هذه العناصر في الجنوح للاستسلام ثم الاندثار . بينما تبدي العناصر الأقوى تطلعا إلى تضميد الجراح وإلى أية فرصة سانحة لإعادة ترميم الذات والوقوف على الأقدام .

ودون أن نقع في العنصرية الوطنية والتحيز للعرق يمكننا القول إن أغلبية الفلسطينيين بعد نكبة فلسطين أظهروا ثباتا ورزانة وقدرة على التكيف في مواجهة العاصفة التي دمرت حياتهم ، وأظهروا استمساكا قويا بموقف الصمود والأمل . في حين لم يكن لمن دعوناهم العناصر الأضعف تأثير مواز على المجموع .

لقد تشردت إثر زلزال النكبة الغالبية العظمى من الفلسطينيين وأخرج من الديار أكثر من ثمانمائة ألف فلسطيني عام ١٩٤٨ . ولجؤوا إلى أماكن شتى وتوزع العدد الأكبر كينيا في عشرين مخيما في أنحاء الضفة الغربية ، وفي ثمانية مخيمات في قطاع غزة وبقي حوالي مائة وسبعين ألفا تحت حكم الاحتلال . ونزح آخرون إلى الأردن الشقيق وأقاموا في ثلاثة عشر مخيما هناك . وخرج أهالي شمال فلسطين إلى لبنان وسوريا ، وحمل الجيش

العراقي المنسحب من فلسطين إلى العراق بعضا من الأهالي . وبمرور السنوات ازداد الشتات الفلسطيني ازديادا مطردا وأظهرت دراسات إحصائية نشرها المكتب المركزي للإحصاء بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك في ثمانينيات القرن الماضي ، تفاصيل هامة عن ذلك الشتات الجديد في بلدان أخرى كالكويت وليبيا ومصر والسعودية والإمارات وقطر والبحرين وعمان ، ونشر أيضا تقديرات للمقيمين كذلك في اليمن والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا والسودان . ولم تقتصر الهجرة على ما أعقب سنوات النكبة مباشرة ولكن ثمة تهجيرا واسعا مدبرا بعناية قد حدث فيما بعد نحو الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والدول الاسكندنافية وبعض دول أوروبا حتى انتشر الفلسطينيون تحت كل كوكب وتكاثرت جالياتهم . فكان تبعثر الفلسطينيين في بلاد الناس هو الجناية الأخرى المقابلة لجمع اليهود من بلادهم الأصلية إلى حيث أحلوهم في فلسطين .

لا عجب أن تكون كل قصة من قصص اللجوء الفلسطيني مأساة أيا كانت ظروفها وأسبابها . وتلك الظروف والأسباب في حالة الفلسطينيين لم تخل من أن تكون توابع حروب أو كوارث أو ضيق أصاب حياتهم . على أن قصص اللجوء هي قصص أليمة حتى في الظروف العادية التي ينتقل فيها الإنسان الفلسطيني من مكان إلى مكان بحثا عن حياة أفضل . وذلك أن الغربية ليست بالشيء البهيج . وما من مغترب إلا كابد في اغتراهه مرارة البعد عن أهله وذويه وواجه صعوبات بناء حياة جديدة في بيئة جديدة وبين أناس ذوي ثقافة وطباع ومعتقدات تخالف ما لديه وما نشأ عليه وهكذا حرم من النمط العادي الهانئ من الحياة واضطر إلى نمط مستعار حافل بالمصاعب . لقد تكبد الفلسطينيون كلهم بسبب نكبة فلسطين ألما قاسية على نحو أو آخر تبعا لظروف كل شريحة من شرائحهم أو موطن من مواطن اغتراههم .. كان ذلك مشهودا في أعقاب حادثة النكبة مباشرة . وما زال

يحدث اليوم بعد ستين عاما على حادثة النكبة . فعقاييل ضياع الوطن تتوالد إلى ما لا نهاية في حياة الفلسطينيين حتى أصحاب الملايين منهم .

على أن المتأمل في تجربة الشعب العربي الفلسطيني بعد مرور هذا الزمن كله يتبين له بوضوح أن هذا الشعب الذي جرد من كل شيء ظل يجدد شعلة الأمل المتقدة في نفسه بفعل إيمانه وأصالته وتمرسه بالكفاح . وبأشرف جهوده فورا للتغلب على الضياع .

لقد ظل محافظا على شخصيته الحضارية كما تبدو في عاداته وتقاليده في حياته اليومية وفي أفراحه وأحزانه وعلاقاته العائلية وتربية أطفاله وأسلوب طعامه ولباسه . وهذه المحافظة تؤكد مدى اعتزازه وتماسكه بعد المحنة التي مر بها .

كما كان أمل الحرية والاستقلال هو الطابع الأوضح الذي اتسمت به حياة الفلسطينيين بعد النكبة سواء في بواورها النفسية أو في مبادراتها العملية . فما أسرع ما شملتهم نزعة ملحوظة نحو تعليم أبنائهم ، مستفيدين من فرص التعليم المجاني الذي أتيح لهم من قبل وكالة غوث اللاجئين أو من قبل العهد المصري الجديد في أوائل الخمسينيات . وفي حين كان التعليم في زمن الانتداب البريطاني محدودا للغاية بحيث لم تتجاوز أعداد الحائزين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية العشرات ، إذا بالتعليم بعد النكبة يفتح على مصراعيه للدرجات الجامعية فيتخرج بدءا من عقد الخمسينيات من القرن الماضي الآلاف من أبناء فلسطين معلمين وأطباء ومهندسين ومحاسبين وغير ذلك ، وتصبح هذه الميزة التي أكسبتهم إياها الظروف المستجدة ذات أثر ملموس في تأهيلهم للعمل في أسواق العمل وبالتالي تحسين حالة أهالي المتعلمين في مخيمات اللجوء وتمكين شرائح جديدة من الشباب الأقارب من الحصول على فرص التعليم .

كان ذلك شعاعا من الأمل الذي دخل إلى قلوبهم في غربتهم وخذلانهم .
ثم ما هي إلا برهة يسيرة وإذا بالأمل يتولد ويتجسد في أقوى مظاهره
عنفوانا ، وإذا بكتائب عسكرية وكتائب فدائيين تتشكل في قطاع غزة وتضم
نخبة من المقاتلين الشبان المتطلعين إلى استعادة الوطن السليب . وكان لهذه
الخطوة مفعول سحري في تعزيز الروح المعنوية وإحداث دفعة قوية للأفكار
الثورية التي نبعث أصلا كردة الفعل الطبيعية على حادثة النكبة استنكارا
ورفضا لها وثورة على الواقع الناجم عنها . كما كانت جميع فئات الشعب
العربي الفلسطيني التي شهدت حادثة النكبة قد لاحظت أن ما يعرف بحرب
فلسطين لم يكن حربا ولكن مسرحية لعبت فيها الخيانة دورها في تسليم
فلسطين إلى العصابات الصهيونية . فكان ذلك بين الأسباب التي كمننت في
خلفية العزم على خوض جولة ثانية ضد العدو . ويجب القول أيضا إن
الثورات التي تفجرت في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية خلال الخمسينيات
والستينيات من القرن العشرين عززت الباعث والإلهام والأمل الفلسطيني في
نهج التحرير واسترداد الوطن .

ولم يكن الذين صنعوا المؤامرة في غفلة عن ما يمكن للاجئين أن
يحملوا به عندما يفيقون من صدمة النكبة . ولذا أصدرت الجمعية العامة
للأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٩ قرارها بإنشاء وكالة غوث اللاجئين
الفلسطينيين وتشغيلهم التي أنيطت بها كما هو واضح من اسمها مهمتان :
الأولى إنسانية وهي تقديم الغوث لهم . والثانية اجتماعية وهي إدماج
اللاجئين في برامج عمل وإسكان .

وسبق إنشاء الوكالة تقرير من لجنة الاستقصاء الاقتصادي التي شكلوها
لتقرر في نهاية المطاف إن ((شقاء اللاجئين هو في آن واحد عرض من
أعراض عدم الاستقرار الاقتصادي وسبب من أسبابه)) . واقترحت :
((برامج خاصة بتشغيل اللاجئين وإغاثتهم ، على أن تصفى برامج الإغاثة

تدرجيا ويستمر اتخفيض في عدد اللاجئين الذين يتلقون المعونة بالنسبة إلى زيادة عدد اللاجئين المشتغلين وفق برنامج الأشغال العامة .))

واستكمالا لهذه الاتجاهات عرض جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في تصريح له عام ١٩٥٥ مبدأ جديدا في التعامل مع قضية فلسطين هو توطين اللاجئين في البلاد العربية . ومنذ ذلك الحين فصاعدا تركزت المحاولات والمشاريع الغربية على ما يمكن أن ندعوه الحل الاقتصادي للقضية الفلسطينية . وفحواه التكرار للحل الطبيعي (السياسي) الذي يقضي حتما بإعادة الذين أخرجوا من بلادهم إلى بلادهم . وتوالت مشاريع غربية وإسرائيلية عديدة على مر السنوات ، وكلها تقوم على التوطين . وكلما مضى الزمن لحق بها مزيد من المسخ والتبخيس . وبين تلك المشاريع مشروع سيناء لتوطين لاجئي القطاع ومشروع بردي وغور الصافي لتوطين لاجئي الضفة ومشروع الرمضان لتوطين لاجئي سوريا ومشروع اليرموك لتوطين لاجئي الأردن ومشروع الليطاني لتوطين لاجئي لبنان . وكلها مشاريع امريكية قاومها الشعب العربي الفلسطيني وأسقطها .

اشتد في تلك المرحلة ما يمكن أن ندعوه اشتعالا ذاتيا لدى الفلسطينيين تحول معه مزيج الألم والحنين ورفض الحياة النكدية في المخيمات والمدن والقرى إلى طاقة محرّكة نحو تجسيد المشروع الوطني في أشكال مؤسسية عملية فاتجهت بعض النخب الشبابية الفلسطينية إلى الأحزاب القائمة آنذاك ، بحسبان تلك الأحزاب ساحات وميادين للنضال . ومهما تكن العقائد والأيدولوجيات التي تبنتها تلك الأحزاب فقد نظر إليها روادها الفلسطينيون على أنها طرق سالكة نحو فلسطين ما دامت القضية الفلسطينية نقطة إجماع لا يختلف عليها أحد .

ثم حدث منذ أواخر الخمسينيات أن سادت الأوساط الشبابية الفلسطينية في الوطن وفي أقطار الخليج دعوة غالبة تدعو إلى حرب تحرير شعبية على غرار حروب الصين والجزائر وكوبا . وتبلورت هذه الدعوة في أشكال تنظيمية تجمع شرائح من الشباب المتطلعين إلى افتتاح عمل ثوري فلسطيني داخل الوطن المحتل .

كانت نتيجة ذلك المخاض ولادة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية على اختلاف ألوانها . ودفعها أمل الحرية والاستقلال إلى خوض معارك التحرير لا سيما بعد حرب عام ١٩٦٧ . وشكلت معارك فصائل منظمة التحرير دورا داميا من أدوار النضال الوطني الفلسطيني . ثم انخرطت قيادة المنظمة بعد مرحلة الخروج من لبنان في توجه يعتمد استراتيجية المفاوضات والعمل الدبلوماسي بديلا للكفاح المسلح وإن لم تنتكر لاستراتيجية الكفاح المسلح .

وفي هذه الأثناء تمخضت جماهير الشعب العربي الفلسطيني في اشتعالها الذاتي الدائم عن ولادة فصائل العمل الإسلامي وعلى رأسها حماس والجهاد اللتان أبقتا على أولوية استراتيجية الكفاح المسلح . واتسم عملهما بمزيد من الكشف عن طاقات أقوى على الفداء والإنجاز الجهادي . ولكن الوصول إلى هدف الحرية والاستقلال ما زال يحتاج إلى مزيد من الجهاد والتضحيات .

القدس بين أهل الحق وأهل الباطل (منذ أقدم العصور وحتى اليوم)

بقلم: د. خالد يونس الخالدي

أستاذ التاريخ المشارك - الجامعة الإسلامية - غزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
والاه.

الأخوة والأخوات الكرام/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يلاحظ المتأمل في تاريخ القدس منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا أن
هذه المدينة المقدسة هي مركز الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل منذ فجر
التاريخ.

وأن كلاً من أهل الحق وأهل الباطل يتعاقبون على حكمها، فتكون تحت
حكم المؤمنين الموحدين، وتبقى في أيديهم ما داموا ملتزمين بدينهم متمسكين
بشريعة ربهم، فإذا ما انحرفوا عن دينهم وتخلوا عن مبادئهم، وأصابهم
الترف والفساد سلط الله عليهم عدوه وعدوهم، فأخرجهم منها، بعد أن ينزل
بهم القتل والتشريد والذل والهوان، وتظل القدس أسيرة محكومة للباطل ولا
تعود إلى أهل الحق مهما طال الزمن حتى يعودوا إلى ربهم ويلتزموا بدينهم
ويجاهدوا عدوهم.

وهذه الحقيقة يؤكدها تاريخ القدس منذ أقدم العصور، وسوف أبينها من
خلال النقاط الموجزة الآتية:

أولاً: الذي حكم القدس زمن إبراهيم عليه السلام (حوالي ١٩٠٠ ق.م) هم
المؤمنون الموحدون، فقد كان حاكمها هو المؤمن الموحد "ملكي صادق"

صديق النبي إبراهيم، وقد حكمها بشريعة الله، وكان دينهم الإسلام" ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين".

وكان الإمام في هذه الأرض المقدسة هو إبراهيم ومن بعده عدد من أبنائه وأحفاده المؤمنين المسلمين، يؤكد ذلك قول الله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك لئناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين" البقرة ١٢٤، وقوله سبحانه: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" الأنبياء ٧٢-٧٣.

وعندما توجه يعقوب عليه السلام إلى مصر ومعه عدد من أبنائه لينتقوا بيوسف عليه السلام ويعيشوا في مصر ترك يعقوب في بيت المقدس أئمة من أتباعه يحكمونها، وظلت تحت حكمهم نحو خمسة قرون إلى أن انحرفوا عن دينهم، فسلط الله عليهم قوماً جبارين من أهل الباطل فسيطروا عليها، واكلوا بالمنحرفين الفاسدين، وكان ذلك في زمن رسالة موسى عليه السلام في مصر أي زمن رمسيس الثاني (١٣٠١-١٢٣٤ ق.م).

ثانياً: كلف الله موسى عليه السلام بتحرير الأرض المقدسة بمن معه من المؤمنين، لأنه لا يجوز لأهل الحق أن يتركوها مغتصبة في أيدي أهل الباطل، فأمر موسى قومه بالتوجه إليها بعد أن نجاهم الله من فرعون وجنده، لكنهم رفضوا بحجة أن فيها قوماً جبارين، وأصروا على الرفض فعاقبهم الله بالتشرد والذل، وهذا مصير كل من لا يسعى من المسلمين إلى تحرير القدس، أما موسى عليه السلام فقد سأل الله أن يفرق بينه وبين قومه الظالمين، وأن يموت قريباً من القدس فحقق الله له ما أراد. ويحكي الله تعالى هذه الحادثة فيقول: "وإذ قال موسى لقومه يا قوم انذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين* يا قوم

ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين* قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون* قال رجال من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين* قالوا يا موسى إنما لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون* قال رب إنني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين* قال فإنها محرمة عليهم، أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين".

ثالثاً: اندثر الجيل الجبان المنحرف من قوم موسى، وخرج جيل مؤمن قاده قائد رباني هو النبي يوش بن نون، تمكن من تحرير القدس، حوالي سنة ١١٩٠ ق.م" وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم".

ويلاحظ أن النصر والتحرير لم يتحقق بكل من ادعى الإسلام، وأنه من أتباع يوشع، بل تحقق فقط بالفئة القليلة المؤمنة التي لا يشغل قلوب أفرادها أي شيء من الدنيا، وعن يوشع بن نون وتنقية صفه يحدثنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم فيقول: "غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبيني بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه".

رابعاً: ظلت بيت المقدس في يد الفئة المؤمنة من أتباع يوشع بن نون مدة من الزمن إلى أن خرج منهم جيل منحرف ظالم، فجرت فيهم سنة الله في المنحرفين الظالمين، إذ سلب الله عليهم من أهانهم واغتصب أرضهم

وسامهم سوء العذاب، وهم جالوت وجنوده الذين يرجح أنهم الآشوريون" وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون"، "وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم".

وقد ظلت القدس في قبضة جالوت وجنوده إلى أن عاد أهل بيت المقدس إلى دينهم، وخرجت منهم فئة مؤمنة ربانية مجاهدة قادها الملك المؤمن طالوت(سنة ١٠٢٥ ق.م)، وكان من بين جنده المؤمنين داوود عليه السلام. ولأنه لا يصلح لتحرير القدس إلا الصالحون الصادقون الأتقياء قرر طالوت أن يمحص صفه وينقيه من ضعاف الإيمان، فاخترهم اختبارات عدة، ولم يواجه عدوه إلا بفئة قليلة مؤمنة نجحت في كل مراحل التمهين والاختبار، ويصور الله سبحانه هذا التمهين وما حصل بعده من نصر لعباده الصادقين فيقول: "ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى، إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين* وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم* وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين* فلما فصل طالوت بالجنود قال: إن الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني، إلا من اغترف غرفة بيده، فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه، قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين* ولما برزوا لجالوت

وجنوده، قالوا ربنا أفرغ علنا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين* فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين* تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق، وإنك لمن المرسلين".

خامساً: أقام داوود عليه السلام (١٠٠٤-٩٦٣ق.م) دولة خلافة إسلامية في الشام، وورث الحكم بعده ابنه سليمان عليه السلام، واستمر حكمه إلى سنة (٩٢٣ق.م). وكانت عاصمتهما القدس، ويعد عصر هذه الدولة العصر الذهبي لبيت المقدس. وما يؤكد إسلامية هذه الدولة أن الأنبياء كلهم مسلمون، فسليمان عليه السلام عندما دعا بلقيس ملكة سبأ إلى دينه دعاها إلى الإسلام إذ أرسل إليها يقول: "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلق علي وأتوني مسلمين"، وعندما قررت بلقيس الدخول في دين سليمان قالت: "وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"، وقد أكد هذا المفهوم آيات عديدة منها قول الله تعالى: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين". وما يؤكد أن دولتهما كانت دولة خلافة قول الله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"، وقوله سبحانه عن داود عليه السلام: "آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين"، واعتراف سليمان بعظمة ملكه إذ قال: "وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين"، وبامتلاكه جيشاً قوياً متميزاً من الجن والإنس وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون"، "والشياطين كل بناء وغواص".

وقد بنى سليمان عليه السلام مسجداً هو المسجد الأقصى وليس الهيكل المزعوم، ولا شك أن المسلمين هم الأولى بهذا المسجد لأنهم الملتزمون بالإسلام دين سليمان عليه السلام والمقدرون له، بينما كفر به اليهود وضلوا

واتهموا نبيهم بأشنع التهم، وقد جدد سليمان بناء هذا المسجد الذي سبق أن بناه آدم عليه السلام في المكان نفسه، يفهم ذلك عند الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه مسلم: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض، قال المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال أربعون عاماً..." وقوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: "إن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثة: حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهره إلا الصلاة فيه، أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه".

سادساً: استمر حكم داود وسليمان حوالي ثمانين عاماً، ثم انحرف بنو إسرائيل عن عقيدة أنبيائهم (الإسلام)، وأخذت زاوية الانحراف تزداد بالتدريج، وانقسمت مملكة سليمان إلى قسمين شكلاً دولتين منفصلتين في كثير من الأحيان، عرفت إحداهما بمملكة إسرائيل (٩٢٣-٧٢١ ق.م)، بينما سميت الأخرى بمملكة يهودا (٩٢٣-٥٨٦ ق.م)، وقد عانت هاتان الدولتان من الفساد العقائدي والأخلاقي، وانتشر الترف والانحراف وأدى إلى الضعف العسكري والسياسي.

فتحققت فيهم سنة الله تعالى التي تحققت فيمن قبلهم من المنحرفين عن منهج الله، إذ سلب الله على مملكة إسرائيل الملك الآشوري سرجون الثاني فقضى عليها سنة ٧٢١ ق.م ونقل سكانها إلى حران وكرديستان وفارس وساموهم سوء العذاب، وأسكنوا مكانهم جماعات من الآراميين، كما سلب الله سبحانه على مملكة يهودا نبوخذنصر فقضى عليها سنة ٥٨٦ ق.م وسبى ٤٠ ألفاً من أهلها المنحرفين إلى بابل.

سابعاً: أرسل الله سبحانه عدداً كبيراً من الأنبياء إلى بني إسرائيل المنحرفين، لعلهم يهتدون ويعودون إلى الإسلام دين أنبيائهم ويستحقون التمكين في الأرض المقدسة، لكنهم كذبوا أنبياءهم وأساءوا إليهم وقتلوا كثيراً منهم، فاستحقوا البقاء في الذل والتشرد والعبودية للعديد من الأقوام. إذ تمكن الإمبراطور الفارسي قورش الثاني من احتلال القدس بعد أن أسقط الدولة البابلية الكلدانية سنة ٥٣٩ ق.م، وقد أعاد قورش جزءاً من اليهود إلى القدس مكافأة لهم على مساعدتهم له ضد البابليين، فعاشوا فيها تحت حكم الفرس، ثم خضعت القدس لاحتلال الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م، فعاش اليهود خاضعين لليونان، وانقسموا وزادت خلافاتهم بسبب تنافسهم على الولاء لحكامهم، ثم خضعت القدس سنة ٣٧ ق.م لاحتلال الرومان الذين نصبوا عليها هيرودس الذي تهود وقتل -بتحريض من اليهود- نبي الله يحيى ثم أبوه النبي زكريا، ورمى اليهود مريم بنت عمران بالزنى، وهموا بقتل عيسى عليه السلام، وظنوا أنهم قتلوه لكن الله نجاه منهم ورفعهم إليه.

ثامناً: ثار اليهود على الحكم الروماني، انتقاماً من الروم ورغبة في الاستقلال بحكم القدس، لكنهم فشلوا لأنهم كانوا يكفرون بربهم ويقتلون أنبياءهم، والأرض المباركة المقدسة لا يمكن أن تحرر إلا على أيدي المسلمين المؤمنين، وقد سلط الله على اليهود بعد ثورتهم القائد الروماني تيتوس فغزا القدس سنة ٧٠م، وقتل من فيها من اليهود وسبى ذراريهم وهدم المدينة.

تاسعاً: ظلت بيت المقدس وأرض الشام في قبضة المحتل الأوروبي (الرومي) حتى قبض الله لها الأمة المسلمة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام -رضوان الله عليهم- فحرروها، إذ تسلم مفاتيحها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة ١٦ هـ .

ولم ينسَ عمر أن يوضح للمسلمين معالم الطريق إلى القدس، وسبيل بقائها تحت حكمهم، فقال: "إنكم كنتم أدل الناس وأحقر الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله".

وقبل أن يغادر بيت المقدس خطب خطبة دفع المسلمون وما زالوا يدفعون ثمناً باهظاً عندما أهملوها ولم يعملوا بوصيته فيها، إذ قال: "يا أهل الإسلام، إن الله تعالى قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء، وأورثكم البلاد، ومكن لكم في الأرض، فلا يكون جزاؤه منكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر بالنعم، وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرغوا إلى التوبة إلا سلّبوها عزّهم، وسلّط الله عليهم عدوهم".

عاشراً: ظلت القدس في أيدي المسلمين نحو خمسة قرون ينعمون بها وتتعلم بهم وبحكمهم لها على منهج الله، وعندما انحرفوا عن دينهم، وتنافسوا على الدنيا، وكثرت معاصيهم، ولم يفرغوا إلى التوبة، سلّبوها عزهم وسلط الله عليهم عدوهم، فسقطت سنة ٤٩٢هـ في أيدي الصليبيين.

وقد سجل التاريخ على الفاطميين الشيعة وواليهم على القدس افتخار الدولة أنهم هم الذين تنازلوا عن القدس للصليبيين مقابل تركهم يحكمون مصر وبعض مناطق الشام، فأمن الصليبيون حاكمهم وحاشيته، وسمحوا بخروجهم آمنين، دون أن يخوضوا معهم أي قتال، وترك أهل القدس للصليبيين، فقتلوا منهم أكثر من سبعين ألفاً بينهم الكثير من الفقهاء والعلماء والعباد.

أحد عشر: ظلت القدس أسيرة في قبضة الصليبيين إلى أن أخذ المسلمون بأسباب النصر، فعادوا إلى ربهم، والتزموا بدينهم، وزهدوا في الدنيا، ووحّدوا كلمتهم على الجهاد في سبيل الله، وتسلم قيادتهم أمراء ربايون مجاهدون، فحرروها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م.

يقول ابن الأثير واصفاً القائد نور الدين محمود بن زنكي الذي حرر معظم الشام وفلسطين وجهاز منبراً للمسجد الأقصى، وأوشك على تحرير القدس، لكنه توفي قبل أن يحقق أمنيته: "طالعت تواريخ الملوك المتقدمين إلى يومنا هذا، فلم أرى بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين، فقد كان حريصاً على أداء السنن وقيام الليل بالأسحار، ينام بعد صلاة العشاء ثم يستيقظ في منتصف الليل، فيصلي ويتبئل إلى الله بالدعاء حتى يؤذن الفجر، كما كان كثير الصيام".

ويتحدث ابن كثير عنه فيقول: "قرأ عليه بعض طلبة الحديث حديثاً مسلسلاً بالتبسم، فطلب منه أن يبتسم ليصل التسلسل، فامتنع من ذلك وقال: إني لأستحي من الله أن يراني مبتسماً والمسلمون يحاصروهم الفرنج بثغر دمياط".

ويقول ابن شداد واصفاً صلاح الدين الأيوبي الذي تحررت القدس على يديه وأيدي جنده المؤمنين: "حسن العقيدة، كثير الذكر، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، ويواظب على السنة والنوافل ويقوم الليل، وكان يحب سماع القرآن وينتقي إمامه، وكان رقيق القلب خاشع الدمعة، إذا سمع القرآن دمعت عيناه، شديد الرغبة في سماع الحديث، كثير التعظيم لشعائر الله".

وعلى طريقة يوشع بن نون وطالوت وغيره من القادة المؤمنين الذين حرروا القدس، لم يقبل صلاح الدين في صفه عاصياً، وعندما تفقد جيشه قبيل معركة حطين وسمع القرآن يتلى من جميع الخيام باستثناء خيمة واحدة أشار إليها وقال: من هنا تأتينا الهزيمة، وطرد جنود هذه الخيمة من جيشه.

اثنا عشر: سقطت عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد في قبضة المغول سنة ٦٥٦هـ، بسبب انحراف الخليفة المستعصم وانشغاله باللهو، وتسليم مقاليد الحكم إلى الوزير الشيعي ابن العلقمي الذي تأمر مع المغول على

تسليمهم بغداد مقابل تسليم الشيعة حكم العراق، فسرح جيش بغداد الذي كان يتكون من مائة ألف جندي ولم يبق إلا عشرة آلاف، وقطع عنهم الرواتب فصاروا يتسولون في الشوارع، وعندما وصل جيش المغول إلى مشارف بغداد، تظاهر ابن العلقمي بأنه يريد الخروج لمفاوضة هولاکو فأذن له الخليفة، واتفق الوزير الخائن مع هولاکو أن لا يدخل بغداد إلا بعد أن يأتيه بالخليفة وأهل بيته وكل قادة ووجهاء بغداد ليقتلهم، وعاد ابن العلقمي إلى الخليفة ليخبره أن هولاکو لا يريد أن يعود إلا إذا قبل الخليفة أن يزوج ابنه من ابنة هولاکو، ففرح المستعصم بذلك ووافق على مطلب هولاکو، وعندئذ طلب ابن العلقمي أن يخرج جميع قادة ووجهاء بغداد ليحضرُوا حفل الزواج، فأمرهم الخليفة بالخروج، وخرج الخليفة وأهل بيته ونحو خمسة آلاف من القادة والوجهاء فقتلهم هولاکو جميعاً، وعندما أراد قتل المستعصم نهاه المنجمون عن ذلك، بحجة أن الخليفة ابن عم الرسول(صلى الله عليه وسلم) وأن إراقة دمه ستؤدي إلى زوال ملكه، فامتنع هولاکو عن قتله، لكن العالم الشيعي نصير الدين الطوسي وابن العلقمي أقنعا هولاکو بأن الكثير من أقرباء النبي قتلوا ولم يحصل لمن قتلهم شيء، وأرشداه إلى طريقة تقتله دون أن ينزف دمه، فوضعه هولاکو-حسب نصيحهم- في كيس وأمر الجنود بركله بالأقدام، ثم أمر بأن تدوسه الخيل بسنابكها، وقد شهد هذان الخائنان عملية القتل وأظهرا الشماتة في المستعصم، ودخل المغول إلى بغداد وقتلوا نحو مليون مسلم سني من أهلها، وتعاون معهم شيعة العراق، وشاركوا في المذابح وكانوا يركزون على العلماء مثلما فعلوا وما زالوا يفعلون اليوم في العراق الذي شجعوا الأمريكان على غزوه، ودخلوه معهم على ظهور الدبابات الأمريكية، وعملوا جنوداً تحت إمرتهم، وقتلوا عشرات الألوف من السنة واغتالوا آلاف العلماء، مقابل حكم هزيل عميل.

ثلاثة عشر: زحف المغول إلى بلاد الشام التي كان أهلها وحكامها وقتئذ منحرفين مترفين عابثين متصارعين، وفرّ الأمراء عن دويلاتهم الهزيلة وتركوا شعوبهم بلا قيادة، ويروى أن أحد هؤلاء الأمراء أراد أن يتقرب إلى هولاءكو ويؤكد له حسن الولاء، فبعث إليه بهدية وهي حذاء مكتوب أسفله اسم ذلك الأمير، ومعه رسالة يقول فيها: إنه فعل ذلك لكي يتشرف عندما يدوس هولاءكو على اسمه، وقد تمكن المغول من احتلال الشام دون مقاومة تذكر، وعندما وصلوا إلى غزة بعث هولاءكو برسالة إلى حاكم مصر سيف الدين قطز يقول فيها: "تعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكأ، أي أرض تؤويكم؟ وأي طريق تتجكم؟ وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، الحصون عندنا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع".

ولسوء حظ هولاءكو وجنوده فقد كان قطز حاكماً مؤمناً ربانياً زاهداً مجاهداً، أمر بقتل رسل هولاءكو، واستدعى عالم مصر العز بن عبد السلام، وطلب منه أن يحرض الناس على الجهاد، وقام العلماء بدورهم، وتحمس الناس للجهاد في سبيل الله، وتكوّن جيش مؤمن قرر قائده قطز أن يكون شعاره: "وا إسلاماه"، وأن يخرج الجيش لملاقاة المغول، وأن يحرروا الشام وفلسطين من دنسهم، ودارت معركة عين جالوت، في (٢٥-رمضان-٦٥٨هـ/٦-سبتمبر-١٢٦٠م) وهزم المغول لأول مرة في تاريخهم، وتحررت فلسطين بعد خمسة أشهر فقط من احتلالها، لتخرج الأمة بدرس كبير وهو أن التحرير لا يتأخر عندما يواجه الأعداء بجيش مؤمن يقوده قائد رباني يأخذ بكل أسباب النصر الممكنة، وعندما يقوم علماء الأمة بدورهم في التحرير والبناء والجهاد.

أربعة عشر: ظلت بيت المقدس في أيدي المسلمين وكان آخر من حكمها العثمانيين، وقد حافظ عليها القادة المؤمنون المجاهدون، وكان آخرهم

السلطان عبد الحميد الذي عرض عليه اليهود أموالاً ضخمة تحل كل مشكلات الدولة العثمانية، مقابل أن يمكنهم من إقامة وطن لهم في فلسطين، فرفض رفضاً قاطعاً وقال: " لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإرادة دمائهم، وقد غزوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا"، لكن المنحرفين عن دينهم من العلمانيين والقوميين في حزب الإتحاد والترقي، تأمروا عليه وخلعوه ومنحوا وباعوا الكثير من أراضي فلسطين لليهود.

أما المنحرفون من العرب فقد وقفوا مع الإنجليز ضد العثمانيين، وصدّقوا وعود بريطانيا لهم بأنها ستقيم للعرب دولة عربية كبرى يحكمونها بأنفسهم، فتمردوا على العثمانيين وصاروا يقتلون جنودهم المنتشرين في ديار العرب خدمة لبريطانيا، واستقبلوا بالورود الجيش الإنجليزي عندما احتل القدس في ٩-ديسمبر-١٩١٧م. وظل هؤلاء المنحرفون إلى يومنا هذا يرجون النصر والعون والتحرير من الإنجليز وإخوانهم الأمريكان، ويرون أن لا حل لمشكلات العرب والمسلمين إلا باتباع المناهج الغربية وتقليدهم حتى في أساليب حياتهم الشاذة المنحرفة، بالرغم من أن الإنجليز قد أعلنوا عن نواياهم منذ اليوم الأول الذي دخلوا فيه إلى القدس، حيث وقف قائدهم النبي ليقول في أول تصريح له من القدس: " اليوم انتهت الحروب الصليبية"، وبالرغم من أن القائد الفرنسي غورو قد وقف على قبر صلاح الدين وركله بقدمه وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين"، وبالرغم من أن بريطانيا قد مكنت لليهود في فلسطين، وبالرغم من المذابح التي ارتكبتها أمريكا وما زالت ترتكبها في العراق.

وقد وصل أصحاب هذه القناعات بمساعدة أعداء الأمة والدين إلى الحكم في معظم ديار المسلمين، ولم يفعلوا شيئاً يستحق الذكر لتحرير القدس وفلسطين، فقد كانت حروبهم تمثيلية شكلية دخلوها بهدف أن يُهزَموا، ويقنعوا

شعوبهم أنهم لم يقصروا، وأنهم لا قبل لهم باليهود، وأنه لا بد من الاعتراف بدولتهم والسلام معهم، وعندما تحركت الشعوب والحركات الإسلامية لمحاربة إسرائيل عبر الحدود الواسعة للعرب معها، منعها هؤلاء الحكام وصارت المهمة الوحيدة لجيوشهم هي حراسة الحدود لليهود، وقمع كل من يحاول أو يفكر في تحرير القدس، فامتألت سجونهم بالعلماء والمجاهدين والشرفاء، وقد كان تحرك الإسلاميين مبكراً فقد أرسل الإمام الشيخ حسن البنا برقية إلى الزعماء العرب المجتمعين في جامعة الدول العربية في ٣- أكتوبر-١٩٤٧م يقول فيها: إنه قد جهز عشرة آلاف من الإخوان المسلمين بأسلحتهم كدفعة أولى، ويطلب السماح لهم بالدخول إلى فلسطين لتحريرها من اليهود، لكن حكام العرب رفضوا، فاضطر للتحايل عليهم، إذ تظاهر عدد من الإخوان بأنهم يرغبون في الذهاب إلى سيناء من أجل رحلة علمية، ومن هناك تسربوا بأسلحتهم إلى فلسطين، ومع كثرة الإلحاح على جامعة الدول العربية سُمح لعدد آخر من الإخوان بالدخول ولكن تحت قيادة الجيوش العربية النظامية، وعندما لاحظ اليهود البلاء الحسن للإخوان شكوا إلى أصدقائهم الإنجليز، فصدرت الأوامر إلى قادة الجيش المصري بتجريد الإخوان من أسلحتهم، ووضعهم في المعتقلات، ونفذت الأوامر، ثم سيق الإخوان مكبلين من معتقلاتهم في جنوب غزة إلى سجون مصر، حيث عذبوا وحوكموا، ولا تهمة لهم إلا جدهم وإخلاصهم في قتال اليهود، ثم صدرت الأوامر من ملك مصر فاروق باغتيال البنا، فأطلق عليه الرصاص في ١٢- فبراير-١٩٤٩م، ومُنِع الأطباء من إسعافه بعد أن وصل بنفسه إلى المستشفى، فظل ينزف إلى أن استشهد-رحمه الله- .

لك الله يا أقصى تقنعت باكيأً وكل صنديد الرجال أسيرُ
بكيث وأيدي الجاهليات تلتقي عليك وعجل السامري يخورُ
يدير رهاها ألف كسرى وقيصرٍ وألف حيي للمدير مديرُ

خمسة عشر: قاد الإسلاميون في فلسطين حركة الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال، فقد أسس الشيخ أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى مع عبد القادر الحسيني سنة ١٩٣٥م منظمة الجهاد المقدس، وأسس الشيخ عز الدين القسام سنة ١٩٢٨م المنظمة الجهادية، واستشهد على يد الإنجليز سنة ١٩٣٥م، وفجر أتباعه ثورة ١٩٣٦م التي هزت الوجود البريطاني في فلسطين واستمرت حتى سنة ١٩٣٨م، وقد قاموا ضد بريطانيا بآلاف العمليات العسكرية ولم تستطع بريطانيا إيقافها إلا بعد أن استخدمت الطائرات والدبابات وسدس جيشها الإمبراطوري.

سنة عشر: انكشف زيف الحكام المنحرفين، فأعلنوا صراحة أن السلام مع الصهاينة المحتلين لبيت المقدس خيار استراتيجي، وأعلنوا عن مبادرات تنازلوا فيها عن القدس واعترفوا فيها بإسرائيل، ووقعوا مع اليهود الاتفاقيات التي تضمن عدم قتالهم، ومحاربة كل من يحاربهم أو يفكر في مقاومتهم.

وطبَّعوا علاقاتهم مع اليهود المحتلين، وتبادلوا معهم الزيارات والقبلات والسفارات، وصار الصهاينة يتجولون آمنين محروسين في شوارع وعواصم هؤلاء الحكام.

كما ثبت فشل كل الحركات العلمانية التي سلكت للتحرير سبلاً بعيدة عن شرع الله تعالى، إذ أن زعماء كبرى هذه الحركات قد اعترفوا بدولة الصهاينة، وتعهدوا بوقف المقاومة، وبذلوا جهوداً مخلصه جادة في اعتقال المجاهدين، وسلموا كثيراً منهم للصهاينة، وأقاموا أجهزة أمنية لا هدف لها إلا خدمة الاحتلال الصهيوني، وأمدتهم الصهاينة والأمريكان والأوربيون بالمال والسلاح والتجهيزات.

سبعة عشر: انبرت الحركات الإسلامية في فلسطين لجهاد الصهاينة، وقد التف حولها معظم الفلسطينيين بعد أن تبين لهم زيف الأنظمة الرسمية، وفشل جميع الحركات العلمانية، ففجرت الانتفاضة سنة ١٩٨٧م، وقادت الجماهير، وأدخلت إلى ميادين الجهاد رجالاً لم يعهد الاحتلال مثلهم من قبل، وتطورت الانتفاضة على أيدي المجاهدين من مرحلة الحجارة إلى السكاكين، ثم إلى إطلاق النار، ثم إلى العمليات الاستشهادية، ثم إلى الصواريخ، وما زال جند الإسلام، أتباع محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الحق يواصلون جهادهم، ويقضون مضاجع أعدائهم، ولا تلين لهم قناة، بالرغم من بطش عدوهم، وكثرة عدد شهدائهم، والحصار الشديد المفروض عليهم، وخذلان الأنظمة الرسمية لهم، وتأمر بعض أبناء جلدتهم من أهل الباطل عليهم.

تلكم أيها الكرام قصة الصراع على القدس بين أهل الحق وأهل الباطل منذ فجر التاريخ والتي يتبين منها بجلاء معالم الطريق إلى قدسنا المغتصب، فهل من معتبر؟!

أشركم على حسن استماعكم، وأسأل الله أن ينفعكم بما سمعتم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

موقف إدارة الرئيس جورج بوش الابن من قضية اللاجئين الفلسطينيين

إعداد

د. وليد المدلل

أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية

تسعى هذه الورقة إلى تحليل موقف إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن من قضية اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة وإظهار خصوصية هذه الإدارة كونها الإدارة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي تميزت بتكتل غير مسبوق للمحافظين الجدد ذوي العلاقات الوطيدة بأركان اللوبي الصهيوني وتأثير ذلك على السياسة الأمريكية تجاه قضية اللاجئين.

ينطلق هذا التحليل من فرضية مفادها أن التغيرات الداخلية في الولايات المتحدة والمتمثلة في سيطرة المحافظين الجدد على مراكز صنع القرار الأمريكي والتغيرات الإقليمية من تغير موازين القوى لصالح إسرائيل في المنطقة قد أدى إلى تدهور تام في الموقف الأمريكي تجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين وصولاً إلى تبني الرؤية الإسرائيلية بالكامل. وجهة النظر الإسرائيلية بالكامل.

قبل الخوض في تفاصيل السياسة الأمريكية تجاه قضية اللاجئين تجدر الإشارة إلى أن تحليل السياسة الأمريكية أو الموقف الأمريكي تجاه أية قضية في الوطن العربي والشرق الأوسط لابد وان يأخذ في اعتباره الربط بين كثير من العوامل والمؤثرات، سواء كانت نابعة من النظام الداخلي للولايات المتحدة (جماعات الضغط، وسائل الإعلام، الرأي العام) أو عوامل نابعة من النظام الإقليمي. كذلك فإن هذه السياسة عبارة عن عملية متدفقة يديرها

صانعو السياسة في ضوء أهداف شبه ثابتة في الشرق الأوسط هي: ضمان تدفق النفط، وضمان أمن إسرائيل وتفوقها النوعي، ومنع أية قوة معادية من السيطرة على المنطقة، ولكن تحت ظروف متغيرة يحاول صانع السياسة الأمريكي بقدر الإمكان أن يتدخل في هذه الظروف ويتحكم فيها لصالح أهدافه. كما أنها لا تصنع من قبل شخص واحد بل يشترك في صنعها مجموعة من الأجهزة والهيكل الإدارية في واشنطن بينها تفاعل معقد ومستمر، وتتمثل هذه الأجهزة في مؤسسة الرئاسة بمجالسها ووزاراتها المختلفة ذات العلاقة والكونجرس وبنوك التفكير وقوى الضغط.^(١)

بالإضافة إلى ما سبق، فإنه يجب الانتباه عند تحليل موقف إدارة الرئيس بوش الابن من قضية اللاجئين الفلسطينيين أن هذه الإدارة تمتعت بخصوصية فريدة من نوعها ومؤثرة على مواقفها وسياساتها الدولية، كونها الإدارة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي تميزت بسيطرة غير مسبقة للمحافظين الجدد على مراكز صنع القرار الأمريكي.

هذا وقد خضعت إدارة بوش الابن لتأثيرات من ثلاثة تيارات رئيسية

داخل الاتجاه المحافظ :

الأول هو التيار المحافظ التقليدي والذي يؤمن بأهمية قيام الولايات المتحدة بلعب دور قوى على المسرح الدولي على أن يكون محركها الأساسي هو مفهوم المصلحة القومية، ويؤكد على مركزية هذا المفهوم كمرشد للسياسة الخارجية. ومن أبرز رموز هذا التيار "كولن باول" وزير الخارجية الأمريكية الأسبق في ولاية بوش الابن الأولي، و"برنت سكوكروفت" رئيس

^١ - سعودي، هـ. (٢٠٠٢) : السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

في: أ. يوسف، م. حمزة (محرران). صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية (ص ص ٥٥-٨٠). الطبعة الأولى. مطابع الأهرام، القاهرة.

مجلس الاستشارات الخارجية التابع للرئيس الأمريكي. ويرى هذا التيار بضرورة تدخل الولايات المتحدة لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي كون الطرفين المتصارعان لا يستطيعان حل الصراع بمفردهما ١.

التيار المحافظ الثاني هو التيار المحافظ الديني والذي لعب دورا مهما في التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية، ويمثله أتباع الكنيسة الإنجيليكانية بالولايات المتحدة. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ازدادت الروابط الأيديولوجية بين هذا التيار وتيار المحافظين الجدد وأصبحت الدوافع الدينية التي تحدد سياسة كل من التيارين متشابهة ٢. يهتم هذا التيار بشكل خاص بمنطقة الشرق الأوسط والصراع العربي- الإسرائيلي وينظر إليه من منظور ديني بحت، ويرى أن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق لنبوذة إلهية وردت في الكتاب المقدس. ويعارض أنصار هذا التيار أية اتفاقية سلام يمكن أن تؤدي إلى تنازل إسرائيل عن أي أرض وقيام دولة فلسطينية عليها.

يشار هنا إلى أن الرئيس بوش نفسه ينتمي لواحدة من الجماعات البروتستانتية الداعمة لإسرائيل وتسمى (A new Born Christian)، ١ وهو ما انعكس على خطبة وتصريحاته ذات الطابع الرسالي الديني، والتي منها: "إن امتنا شهدت الشر"، و"مسئوليتنا أمام التاريخ"، و"حملتنا الصليبية سوف تأخذ وقتنا"، و"أنها حرب حضارات"، "أشعر كأن الرب يريدني أن أخوض

^١كمال، م. (يناير، ٢٠٠٥): "الفكر المحافظ والسياسة الخارجية لإدارة بوش الثانية". السياسة الدولية، العدد ١٥٩. ص ص ٣٦-٤١.

^٢هالبر، س.، كلارك، ج. (٢٠٠٥): التفرد الأمريكي: المحافظون الجدد والنظام العالمي. ترجمه عمر الأيوبي. دار الكتاب العربي، بيروت.

^١<http://www.yuricareport.com/Dominionism/TheDespoilingOfAmerica.htm>
^٢<http://www.truthorfiction.com/rumors/g/georgewbush.htm>

انتخابات الرئاسة"، "نحن في صراع بين الخير والشر"، "وأمریکا سوف تسمى الشر باسمه" وجميعها مقتطفات من خطابات للرئيس بوش الابن. ١ كما كان بوش الابن أول رئيس افتتح حملته الانتخابية (الثانية) بدعوة ألفين من القساوسة والقادة الدينيين إلى حفلة كبرى وخطب فيهم كما لو أنه راع كنيسة وليس رئيساً أو مرشحاً لفترة ثانية^٢.

أما التيار الثالث فهو تيار المحافظين الجدد، ورغم أنه الأحدث إلا أنه الأكثر تأثيراً في إدارة بوش الابن، حيث جمعت إدارة الرئيس بوش الابن رموزاً بارزين يمثلون هذا التيار يقودهم نائب الرئيس الأمريكي "ديك تشيني"، ووزير الدفاع السابق "دونالد رامسفيلد" ومساعديهما "بول ولفوفيتز" نائب رامسفيلد و"لويس لوبي" مساعد تشيني، بالإضافة إلى "ريتشارد بيرل" والذي يحتل منصب رئيس مجلس سياسات الدفاع التابع لوزارة الدفاع الأمريكية. يؤمن هذا التيار بمشروع "القرن الأمريكي الجديد"، وهو يدعو إلى استغلال فرصة أن الولايات المتحدة أصبحت على قمة النظام الدولي بنهاية القرن العشرين، وأن الولايات المتحدة يجب أن تكون لديها الرؤية والإدارة لقيادة العالم وتشكيل القرن الجديد بشكل يتوافق مع المبادئ والمصالح الأمريكية، وأن السياسات العسكرية والأمنية هي أدوات تنفيذ الرؤية والأهداف الأمريكية^١.

^١ عبد الشافي، ع. (إبريل، ٢٠٠٥): "السياسة الخارجية الأمريكية، قضايا وإشكاليات". السياسة الدولية، العدد ١٦٠. ص ١٥٤-١٦٢.

^٢ الشوربجي، م. (يوليو، ٢٠٠٥): "الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية". السياسة الدولية، العدد ١٦١. ص ٢٠٦-٢١٥.

^١ The Project of The New American Century (N.D): "Statement of Principals". US <http://www.newamericancentury.org/statementofprinciples.htm>

ارتبط صعود نفوذ المحافظين الجدد في إدارة بوش بأحداث ١١ سبتمبر حيث قدموا إطاراً فكرياً متكاملًا لسياسة الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر عجزت باقي التيارات المحافظة عن تقديم مثله.

ويعتبر التمرکز حول المصالح الأمريكية- الإسرائيلية أحد الركائز الأساسية في فكر المحافظين الجدد فرؤيتهم تقوم على حماية أمن وسلامة دولة إسرائيل عن طريق تدخل أمريكي كبير لإعادة رسم خريطة القوى في المنطقة. كما يؤمن أنصار هذا التيار بأن على إسرائيل إتباع منهج جديد للسلام يعتمد على السلام مقابل السلام، بدلاً من السلام مقابل الأرض، وقاموا بدعوة إسرائيل إلى عدم التعامل مع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات مع تحريض واضح ضده بأنه يشجع الإرهاب وينفق المساعدات التي ترسل للشعب الفلسطيني لأغراض إرهابية وأن السلام لن يأتي للفلسطينيين إلا بعد إخراج عرفات من الصورة ١ .

ويمكن الفهم انه تبعاً لهذه الخصوصية الفريدة للإدارة الأمريكية ذات الرموز المحافظة فإن موقفها من قضية اللاجئين لن يكون بأحسن حالاً من الإدارات التي سبقتها، بل بالعكس فالفرصة أصبحت مواتية للمسيحيين المتصهينين واللوبي الصهيوني في واشنطن أن يرسموا مشروعهم الإمبراطوري في الشرق الأوسط الذي يتمركز حول "إسرائيل" دون وجود أصوات معارضة، خاصة مع غياب المنافسة بين الكونجرس والبيت الأبيض نتجت عن وجود كونجرس في الولاية الأولى لبوش ذو أغلبية جمهورية محافظة توافق وتدعم قرارات الرئاسة.

^١ Daniel Mckivergan: Arafat-Three Billion Dollar Man.
<http://www.newamericancentury.org/middleeast-٢٠٠٣١١١١.htm>

تجاهل إدارة الرئيس بوش الابن لقضية اللاجئين:

تعاملت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن مع القضية الفلسطينية بكل تفاصيلها بما فيها قضية اللاجئين وحق العودة ضمن الإستراتيجية الأمريكية الشاملة لمنطقة الشرق الأوسط والتي كان العراق يحتل رأس أولوياتها. حيث لم تستحوذ القضية الفلسطينية على اهتمام إدارة بوش إلا بقدر ما تؤثر على أهداف السياسة الأمريكية في المنطقة. ولم تمنح أية خصوصية أو جدية للتعامل مع جذور الصراع، بل نظر إليها كقضية أمنية بحتة .

كان الواضح أن بوش وفريقه قد حسموا أمرهم منذ البداية فيما يخص الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وبالطبع قضية اللاجئين تبعاً لذلك، وسياستهم تجاه الشرق الأوسط التي تركز على العراق أولاً وعدم الدخول في تفاصيل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وأخذ الأمور بظاهرها دون النظر إلى جذورها الرئيسية والمسببة للنزاع.

عملياً حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر أي في العام الأول من ولاية بوش حظيت القضية الفلسطينية بما فيها قضية اللاجئين بتجاهل أمريكي متعمد وترك الموضوع برمته لتصرف شارون، والنظر إلى ملفات أكثر أهمية لمصالح الولايات المتحدة مثل العراق وإعادة تشكيل خريطة الشرق الأوسط بما يضمن المصالح القومية الأمريكية.

أحداث ١١ سبتمبر وتأثيرها على قضية اللاجئين:

كانت هجمات ١١ سبتمبر زلزالاً فرض نفسه على واقع الحياة السياسية ليس في أمريكا وحدها وإنما في العالم أجمع، وأصبح يعد تأريخاً لسياسة القطب الواحد والهيمنة الأمريكية وقيادة العالم وإستراتيجية الدفاع الوقائي بكل تفاصيلها وحيثياتها ومتطلباتها. فبعد أن كان بوش ذو الشرعية الضعيفة

يواجه انتقادات عديدة من قبل المفكرين والسياسة في السنة الأولى لولايته الرئاسية، أعطته ١١ سبتمبر قوة ودافعاً ليقود العالم في حربه ضد الإرهاب ولتصبح كلماته في خطابه أمام الكونغرس ٢٠/٩/٢٠٠١:

"Either you are with us or you are with the Terrorists"^١

قانوناً يحاسب به الدول ويميزها حسب موقفها من القرارات الأمريكية تجاه القضايا العالمية.

وقد انطبق هذا المنظور على التعامل مع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وبالأخص قضية اللاجئين وحق العودة والتي تمثل جوهر هذا الصراع والتي شهدت إغفالاً تاماً في جميع الخطط التي تبناها بوش الابن والتي تسعى إلى احتواء وليس معالجة القضية الفلسطينية بدءاً بخطابه المزعوم حول إقامة دولة فلسطينية مجهولة الحدود والتأكيد على نقاء الدولة اليهودية وورقة الضمانات التي نفي فيها حق العودة للاجئين وصولاً إلى قرار الكونغرس الأمريكي باعتبار يهود الدول العربية لاجئين.

خطاب بوش "Bush Vision" الطريق لرسم خارطة تؤدي لدولتين:

ضمن تداعيات الحرب الأمريكية الهلامية على "الإرهاب" ومحاولة إعادة ترتيب المنطقة بناء على المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة وبناء تحالف دولي ضد الإرهاب كان لا بد من تهدئة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي ومحاولة كسب الحكومات العربية وإسكات الشعوب العربية من أجل ضمان تنفيذ الخطة الأمريكية المقبلة في المنطقة. قام الرئيس جورج بوش الابن بإلقاء خطاب في الرابع والعشرين من يونيو ٢٠٠٢ تم تخصيصه

^١ White House webpage at:

(visited on <http://www.whitehouse.gov/news/releases/2002/01/20020130-12.html>)

(١/٥/٠٨).

للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ليعلن به عن عودة الولايات المتحدة لممارسة دورها في عملية السلام في الشرق الأوسط جاء فيه:

"رؤيتي لدولتين تعيشان جنبا إلى جنب في سلام وأمن. وليس هناك من سبيل لتحقيق هذا السلام حتى تكافح كل الأطراف الإرهاب ... السلام يتطلب قيادة فلسطينية جديدة ومختلفة حتى يمكن أن تولد دولة فلسطينية. إنني أدعو الشعب الفلسطيني إلى انتخاب زعماء جدد لا يشينهم الإرهاب ... وحينما تكون هناك قيادات جديدة للشعب الفلسطيني ومؤسسات جديدة وترتيبات أمنية جديدة مع جيرانه فإن الولايات المتحدة ستؤيد قيام دولة فلسطينية تكون حدودها وجوانبها معينة من سيادتها، مؤقتة إلى حين الاتفاق عليها في إطار تسوية نهائية في الشرق الأوسط... يجب على الإسرائيليين والفلسطينيين تناول القضايا الجوهرية التي تقف حائلا بينهم إذا كان سلام حقيقي أن يسود وبتسوية كل المزارع وإنهاء النزاع فيما بينهم. وهذا يعني إنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي بدأ عام ١٩٦٧ من خلال تسوية جري التفاوض عليها بين الأطراف على أساس قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ مع انسحاب إسرائيل إلى حدود آمنة ومعترف بها. علينا أيضا حسم القضايا المتعلقة بالقدس ومحنة اللاجئين الفلسطينيين". ١.

رغم الترحيب الرسمي الفلسطيني والإسرائيلي والعربي والعالمي بخطاب بوش إلا أن رؤية تحليلية لهذا الخطاب توضح تبني الموقف الأمريكي تجاه اللاجئين وحق العودة للموقف الاسرائيلي وتبرز أهم النقاط التالية:

^١ White House website at:
<http://www.whitehouse.gov/news/releases/٢٠٠٢/٠٦/٢٠٠٢٠٦٢٤-٣.html>

أولاً: ذكر الخطاب دولة فلسطينية غامضة وغير واضحة حين أشار إلى انسحاب إسرائيل إلى "حدود آمنة ومُعترف بها" فالخطاب لا يقرّ بحدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ كحدود للدولة الفلسطينية.

ثانياً: أغفل الخطاب وبشكل صريح القرار الدولي ١٩٤ كأساس لحل قضية اللاجئين والذي ينص على حق العودة والتعويض، وأورد تسوية ترتكز فقط على قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ مما أنذر بتجاهل واضح للرب الصراع الفلسطيني الإسرائيلي واقتصار الحل الأمريكي للصراع على صورة مشوهة تجهل جذوره وتتبنى وجهة النظر الاسرائيلية.

ثالثاً: رهن بوش دعمه لإقامة دولة فلسطينية بتغيير القيادة الفلسطينية المتمثلة في ياسر عرفات ومؤسساتها وضرورة إجراء إصلاحات جذرية في سبيل الديمقراطية ووصف فيه المقاومة بالإرهاب أي أن المدخل الأمني هو الطريق لبدء تسوية تتعلق بالقضايا العالقة بين الطرفين وهي قضية القدس واللاجئين.

إن خطاب بوش يبرز وبوضوح الإستراتيجية الأمريكية في العالم بعد ١١ سبتمبر والتي عنوانها "المطالبة بالحسم بين خيارى الإرهاب والعالم المتحضر" وشعارها "إما أن تكون معنا أو علينا في الحرب ضد الإرهاب". ومن بعد تجاهل تام لقضية الفلسطينية يحاول بوش تبسيط القضية وحلها مع كافة تعقيداتها وتفصيلها بناء على مفاهيمه وقوانينه الجديدة التي فرضها على العالم بعد ١١ سبتمبر وليس تبعاً للشرعية الدولية وقوانين الأمم المتحدة. وعليه يصبح الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بين "تطرف وإرهاب" من ناحية و"سلام وديمقراطية" من ناحية أخرى وليس بين "شعب وحق تاريخي" تحت سقف الشرعية والقانون الدولي من جهة و"احتلال واستيطان" وانتهاك دائم لهذه الشرعية من جهة أخرى. وتبعاً لذلك فإن أية مطالبة لحق عودة اللاجئين

إلى أراضيهم هي مطالبة غير مشروعة بناء على قوانين بوش الجديدة لأنها تهدد السلام والديمقراطية التي يتحدث عنها بوش الابن.

خارطة الطريق وغياب عنوان واضح لقضية اللاجئين:

عقب طرح الرئيس الأمريكي لخطابه الشهير والذي عرف بـ "Bush Vision" والترحيب الدولي الذي حظي به وخاصة من اللجنة الرباعية المكونة من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وروسيا، عقدت اللجنة عدة اجتماعات من أجل بلورة مبادرة دولية جديدة لحل الصراع بناء على الأفكار التي وردت في خطاب بوش. والحقيقة أنه كان هناك رؤيتان رؤية أوروبية ورؤية أمريكية، ومنذ الإعلان عن المسودة الأولى في ١٥/١٠/٢٠٠٢ وصولاً إلى المسودة الثالثة في ٢٠/١٢/٢٠٠٢ كانت الرؤية الأمريكية هي الغالبة وتبنتها الرباعية في النهاية.

تتكون هذه الخطة من ثلاث مراحل لتطبيق التصورات والالتزامات التي جاءت في خطاب الرئيس الأمريكي، ويتضح منها أنه لم يتم ذكر اللاجئين في الخطة كعنوان تفاوضي محض بل أرفق بتوجيهات حول مضمون الحل تبعده عن فحوى القرار الأممي ذي العلاقة المباشرة بقضية اللاجئين ١٩٤ حيث التسوية تتضمن "حلاً متفقاً عليه عادلاً ومنصفاً وواقعياً لقضية اللاجئين"٢، مع تأجيل ذلك للمرحلة الثالثة وإبقاء هذه القضية موضوعاً للتفاوض بين "إسرائيل" والدولة الفلسطينية وليس مع منظمة التحرير الفلسطينية باتجاه البحث عن حلول التوطين والتهجير مقابل التعويض.

٢ خارطة الطريق إلى أين؟ (٢٠٠٣): منشورات الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين . السلطة الوطنية الفلسطينية.

كما أن الخطة تعتبر بمراحلها الثلاث تأكيد على حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من مدخل إنهاء العنف والإرهاب أولاً أي المدخل الأمني وليس من خلال الاعتراف بحقوق اللاجئين وإنهاء الاحتلال والاستيطان، إضافة إلى أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى يعتمد على تنفيذ متطلبات المرحلة الأولى.

أبدى شارون تحفظاته على الخارطة في مسودتها الأولى وأدرجها في أربعة عشر تحفظاً، وتحدثت النقطة السادسة من تحفظاته عن التنازل "waiver" بالمعنى القانوني القاطع والمانع عن أي حق في العودة للاجئين الفلسطينيين إلى دولة إسرائيل أي التنازل عن الحق الفردي والجماعي القانوني والسياسي بل والتعويضي بالإضافة إلى التنكر للمسؤولية التاريخية عن نشوء مشكلة اللاجئين^١. ومن جانب آخر طالب شارون بوضع قيود واضحة على سيادة الدولة الفلسطينية وحدودها. وقامت واشنطن بتعديل البنود التي تحفظت عليها إسرائيل حسب الطلب الإسرائيلي.

بعد سقوط النظام العراقي في ٩ إبريل ٢٠٠٣، عمدت الإدارة الأمريكية إلى توظيف معادلات وأوضاع النظام العربي ما بعد العدوان على العراق لصالح تحقيق وبلورة المشروع الصهيوني وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وكان خطاب بوش في قمة العقبة التي عقدت في ٤ يونيو ٢٠٠٣ بادرة لهذا النهج الصريح في التعامل مع الصراع حيث شدد قائلاً: "الولايات المتحدة اليوم ملتزمة بقوة، وأنا ملتزم بقوة، بضمان أمن إسرائيل كدولة يهودية تنبض بالحياة^٢. وهو بهذا شكل سابقة كأول رئيس أمريكي يدعم المشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية نقية على أرض فلسطين مما

^١ خارطة الطريق إلى أين؟ (٢٠٠٣): المرجع السابق.

^٢ لمزيد من التفاصيل انظر كلمة جورج بوش في ختام قمة العقبة. اسلام اون لاين شئون سياسية.

<http://www.islamonline.net/Arabic/news/٢٠٠٣-٠٦/٠٤/article١٠b.shtml>

يعني إغلاق الباب أمام عودة اللاجئين إلى ديارهم بحسب القرار ١٩٤ بل فيما يؤسس له هذا التعريف فكريا وسياسيا من إعفاء الدولة الصهيونية من مسؤوليتها التاريخية والأخلاقية طرد الفلسطينيين وتبرئتها من التهجير الذي ارتكبه بحق الشعب الفلسطيني والذي يعتبر جريمة في نظر القانون الدولي.

ورقة الضمانات الأمريكية:

في تطور خطير للسياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، قام الرئيس الأمريكي بإعطاء شارون ضمانات بخصوص اللاجئين والمستوطنات تعتبر الأقوى على صعيد الموقف الأمريكي في قضية اللاجئين وحق العودة عرفت باسم ورقة الضمانات الأمريكية والتي أكد فيها على:

التزام الولايات المتحدة برؤية دولتين تعيشان جنباً إلى جنب بسلام وأمان كما ورد في خارطة الطريق وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهودها لمنع أين كان لفرض خطة أخرى.

تبقى الولايات المتحدة ملتزمة بالتسوية التي تقضى إلى إقامة دولتين للسلام في الشرق الأوسط. الولايات المتحدة ملتزمة بقوة بأمن إسرائيل ورخائها كدولة يهودية. "يبدو واضحاً أن إطاراً متفق عليه عادلاً وواقعياً لحل قضية اللاجئين الفلسطينية في سياق أي اتفاق للحل النهائي يحتاج إلى إرسائه لدولة فلسطينية واستقرار اللاجئين فيها وليس في إسرائيل، وذلك في ضوء الحقائق الجديدة على الأرض ومن غير الواقعي أن تؤدي مفاوضات الحل النهائي إلى عودة كاملة إلى خطوط هدنة ١٩٤٩، وكل الجهود السابقة للتفاوض حول حل لإقامة دولتين توصلت إلى النتيجة نفسها. ومن الواقعي

أن نرى أي اتفاق حول الوضع النهائي لا يمكن أن يتم إلا على أساس تغييرات يتفق عليها تعكس هذه الحقائق"١.

مثلت هذه الخطوة تراجعاً خطيراً في السياسة الأمريكية تجاه قضية اللاجئين والقضية الفلسطينية لم تتخذها أي إدارة سابقة حتى الأشد ولاءً لإسرائيل وخاصة أن هذه الضمانات تشكل جوهرًا لمفاوضات الحل النهائي، فجورج بوش الابن أعطى لنفسه الحق في التنازل عن أرض لا يملكها وعن حق ليس له. إن خطاب بوش أو ورقة لضمانات هي أشبه بوعده بلفور جديد صادر عن الإدارة الأمريكية بحسب المحللين العسكريين والاستراتيجيين حتى أن هذا الوعد اخطر من وعد بلفور الذي صدر عام ١٩١٧، فوعده بوش بنسف المبادئ التي يقوم عليها الحل النهائي بين الفلسطينيين والإسرائيليين والمتعلقة بالقضايا الخمس في مقدمتها قضية القدس. وهو يلغى الأسس التي تقوم عليها الدولة الفلسطينية لأنه حدد مسبقاً مضمون الحل النهائي والمرتكزات التي يجب التفاوض حولها وتراجع عن الوعد الذي طرحه في خطابه عام ٢٠٠٢ بشأن قيام الدولة الفلسطينية في نهاية العام ٢٠٠٥.

قرار الكونجرس رقم ١٨٥:

في نيسان من العام ٢٠٠٨ صادق مجلس النواب الأمريكي على قرار رقم ١٨٥ بإجماع كافة أعضائه الجمهوريين والديمقراطيين، يعتبر فيه "اليهود الذين تركوا الدول العربية لاجئين". وكان النائب الديمقراطي اليهودي جيرالد نادلر قد تقدم بمشروع هذا القرار في فبراير من العام ٢٠٠٧. وطالب القرار الإدارة الأمريكية بوضع ذلك الاعتراف في كل قرار دولي يتحدث

^١ أنظر النص الكامل لورقة الضمانات الأمريكية من الرئيس بوش لرئيس الوزراء شارون في:

<http://www.bitterlemons.org/docs/bushletter.html>

^٢ القرعي، أ. (يناير، ٢٠٠٥): واقع قضية القدس في المشهد الفلسطيني، مجلة السياسة الدولية، العدد

١٥٩، المجلد ٤٠، مطابع الأهرام، القاهرة. ص ١٢٠.

عن حل لقضية اللاجئين في الشرق الأوسط . ويزعم القرار بأن "مئات الآلاف من اليهود الذين طردوا أو اجبروا على ترك بيوتهم من الدول العربية بسبب الصراع العربي الإسرائيلي يعتبرون لاجئين". ويحث قرار مجلس النواب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن أن يصدر أوامره إلى مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة بأن يعمل على أن يتضمن كل قرار متعلق بمسألة اللاجئين في الشرق الأوسط مشكلة اللاجئين اليهود ، وأشار القرار إلى أن "ما جاء في قرار مجلس الأمن ٢٤٢ حول حل عادل لمشكلة اللاجئين دون أن يميز بين لاجئين فلسطينيين أو يهود". واعتبر النواب أن قضية اللاجئين الفلسطينيين حظيت باهتمام كبير من قبل دول العالم، بينما لم يحظ "اللاجئون اليهود" الذين خرجوا من الدول العربية والإسلامية بالقدر نفسه من الاهتمام؟، وأشاروا إلى انه "تم إجلاء ما يقارب ٨٥٠ ألف يهودي من الدول العربية منذ إعلان قيام دولة إسرائيل".^١

إن هذه المحاولة الأمريكية الصهيونية لقلب الحقائق التاريخية والشرعية تندرج ضمن سياسة الولايات المتحدة ومن ورائها إسرائيل لإسقاط أية مطالبة لحق العودة للاجئين الفلسطينيين وإسكات كافة الأصوات المنادية بحق عودة اللاجئين، ومحاولة اختلاق معضلات على المسرح الدولي والإقليمي وإشغال الرأي العام الدولي بمشكلة ليست موجودة أصلاً لتشتيت الانتباه حول القضية الفلسطينية ومحاولة تسويتها من مدخل أممي يصب في مصلحة استراتيجية الولايات المتحدة ككل.

خطاب بوش في الكنيست الإسرائيلي:

^١ U.S House of Representative: H. Res. ١٨٥, on: <http://www.govtrack.us/congress/bill.xpd?bill=hr١١٠-١٨٥>

ألقى الرئيس بوش خطابه المثير للجدل بمناسبة ٦٠ عاماً على قيام إسرائيل، والذي جاء تلخيصاً لما جاء في هذه الورقة من التوجهات الدينية للرئيس بوش والذي بدا من خلال النصوص الدينية التي أشار إليها من التوراة والبعض كان ببلغة عبرية، وفي حديثه عن (إبراهيم، أرض الميعاد، وصراع الخير والشر..الخ)، وكذلك الدعم اللامتاهي لإسرائيل في سياق ديني استرجع فيه قصص التاريخ وما أسماه بوحدة المصير وهي إشارات اكتظ بها الخطاب.

أما فيما يتعلق بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، يشار إلى أن بوش لم يأت على ذكر الفلسطينيين في خطابه، عدا قوله بأن إسرائيل سوف تحتفل بعيدها بعد ١٢٠ سنة وستكون هناك دولة فلسطينية ديموقراطية تراعي حقوق الانسان، وهو ما يؤكد (بالحد الأدنى) على أن هذه الدولة لن ترى النور في ولاية الرئيس بوش، على عكس ما تروج له الإدارة الأمريكية.

كما شابه بوش بين نشأة إسرائيل ومصيرها وبين نشأة الولايات المتحدة ورسالتها ومصيرها، وهو ما يحمل إشارات ضمنية إلى كيف يمكن أن تتعاطى إسرائيل مع قضية الشعب الفلسطين وحق في العيش على أرضه ويشي بأن إسرائيل ليس بإمكانها فقط رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين وحسب بل إمكانية طرد من تبقى منهم على الأرض الفلسطينية كما فعل بالهنود الحمر (السكان الأصليين) على الأرض الأمريكية.

الخلاصة

حاولت هذه الورقة تسليط الضوء على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها تجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين في عهد جورج بوش الابن عبر تتبع الملامح الأساسية والتغيرات الداخلية والدولية المؤثرة على تلك السياسة فيما يتعلق بموقفها من قضية اللاجئين الفلسطينيين. ومن هذا

العرض يتضح أن الانحياز الأمريكي لإسرائيل تحول إلى تبني وجهة النظر الإسرائيلية بالكامل في ظل سيطرة الولايات المتحدة على العالم كقطب أوجد وزيادة تأثير اللوبي الصهيوني في أركان البيت الأبيض وتكتل المحافظين الجدد في إدارة بوش الابن وتهميش دور المنظمات الدولية. ولا يعتقد معدا هذه الورقة أنه سيطراً تغيير يذكر على هذه السياسة لارتباطها بمتغيرات دولية وعربية ليست في صالح القضية الفلسطينية لإلتزام الولايات المتحدة الأمريكية بالتفوق الإسرائيلي في المنطقة من جهة وانشغالها بحربها في العراق ومصالحها في الخليج العربي.

ويمكن إرجاع هذا التراجع الخطير في الموقف الأمريكي إلى مجموعة من العوامل تضافرت معا:

١- تغير المناخ الإقليمي والدولي لصالح الولايات المتحدة وإسرائيل وتغيير موازين القوى في الشرق الأوسط لصالح إسرائيل ووجود فراغ في المسرح السياسي الدولي لغياب قوة رادعة للولايات المتحدة ومناصرة للحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني. إضافة إلى ضعف المؤسسات الدولية في ضوء الهيمنة الأمريكية على العالم واتساع رقعة التوترات الإقليمية بعد حرب العراق وأفغانستان وأزمة المحاور في الشرق الأوسط.

٢- صمت فلسطيني رسمي لكافة التجاوزات الأمريكية في قضية اللاجئين وحدود الدولة الفلسطينية حيث لا وجود في عالم السياسة لما اسماه بوش "دولة فلسطينية مؤقتة"، ودعاوي فلسطينية رسمية بتبني "الواقعية السياسية" وتشكيك في عدم إمكانية حل قضية اللاجئين من جذورها التاريخية في ظل المتغيرات العالمية الراهنة.

٣- صمت عربي مطبق حول قضية اللاجئين في ظل هرولة للتطبيع مع الكيان الصهيوني ومحاولة لإرضاء الولايات المتحدة التي استغلت

المخاوف الرسمية العربية في تمرير استراتيجيتها في المنطقة عبر افتعال ازمام طائفية ودينية تهدد عروش الحكام العرب وتصوير مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الدول المختلفة على أنها بؤر "إرهابية" لابد من القضاء عليها كواقع الحال مع مخيم نهر البارد.

٤- تعدد المبادرات والتأويلات الخاصة بتسوية القضية الفلسطينية بداية باتفاق أوسلو ومرورا بخارطة الطريق والمبادرة العربية وانتهاء بمؤتمر أنابوليس ويهودية الدولة الصهيونية، وعدم وضوح مرجعية حقيقية اعتمدها المفاوض الفلسطيني منذ البداية وتأجيل قضية اللاجئين إلى المراحل النهائية والتي من الواضح أنها لانهائية .

ختاماً يمكن القول بأن "مبادرات اللحظة الأخيرة" التي دأبت على طرحها الإدارات الأمريكية المتعاقبة في نهاية ولايتها لا يمكن أن يكتب لها البقاء لأنها ببساطة تأتي في الوقت الضائع من عمر هذه الإدارات وهو ما لا يمكنها من فعل شيء وخاصة في قضايا شائكة ومعقدة من قبيل قضية اللاجئين الفلسطينيين والقدس والدولة الفلسطينية والإستيطان وغيرها، هذا في الوقت الذي ترنو فيه عيون الحزب الحاكم (الجمهوري) إلى تحسين حظوظه في الانتخابات القادمة والتي أصبحت على الأبواب، وهو ما يؤكد أن تلك الإدارات لا يمكن لها أن تمارس أي نوع من الضغط على إسرائيل لحاجتها لأصوات يهود الولايات المتحدة ومؤيديهم، وحتى لا تتكرر تجربة الرئيس بوش الأب إبان ما عرف في حينه بـ "أزمة الضمانات الأمريكية" والتي ترتب عليها خسارة الرئيس بوش الأب للانتخابات أمام منافسة بيل كلينتون، حين اتخذ الأول موقفاً معارضا لسياسة الإستيطان الإسرائيلية في الأراضي المحتلة لمعارضتها لترتيبات السلام في حينه، وربط تقديم ضمانات القروض لإسرائيل بالامتناع عن الاستيطان في الأراضي المحتلة وهو ما فسر من قبل إسرائيل واللوبي الصهيوني على أنه موقف معاد.

المحور الثاني

الحقوق والثوابت الشرعية الفلسطينية

رئيس الجلسة الثانية

د. سالم سلامة

عضو مجلس تشريعي

الاعتراف بشرعية الاحتلال الآثار والنتائج

الدكتور /يوسف كامل إبراهيم
أستاذ جامعي - كاتب ومحلل سياسي

يتعرض الفلسطينيون اليوم لحملة دولية ضاغطة في سبيل الاعتراف بكل ما ورد عن الأمم المتحدة من قرارات، سواء تلك التي تخدم القضية الفلسطينية وتعترف بحقوق أبنائها مثل حق عودة اللاجئين والانسحاب من الأراضي المحتلة، أو تلك التي تكرر الاحتلال الإسرائيلي على الأرض مثل إعطاء الحق لإسرائيل في الوجود على الأرض الفلسطيني، ومنحها الحق في الدفاع عن نفسها ضد كل ما يسمى دوليا "العنف".

فإسرائيل تشعر اليوم وبعد ستين عام من النكبة أنها كيان شاذ في المنطقة وغير مرغوب بها فلسطينيا وعربيا وإسلاميا ، فبعد أن اغتصبت أرض فلسطين تريد انتزاع اعتراف فلسطيني يعطيها الشرعية الدولية، وتساعد الدول الأوروبية وما انبثق عنها من لجنة رباعية بالتعاون مع أميركا في تثبيت جذور الإسرائيليين في أرض فلسطين من خلال الاعتراف الدولي الذي حصلت عليه، وكذلك الاعتراف العربي والإسلامي والفلسطيني.

فالشعب الفلسطيني لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعترف لإسرائيل بما لا تستحق وبما لا تملك في أرض فلسطين. وهذا الاعتراف يتطلب الضغط على الشعب الفلسطيني لانتزاعه والإعلان به على الرغم من حصولها على هذا الاعتراف في وقت سابق عند زيارة كلينتون غزة عام ١٩٩٨ وإلقاءه لكلمة أمام أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني حيث تم

الاعتراف بإسرائيل وتم شطب البنود التي كانت واردة في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ، وبعد التغيرات السياسية داخل الساحة الفلسطينية وفوز حماس في المجلس التشريعي وتشكيلها للحكومة العاشرة تم فرض حصار على غزة وتوقيف المساعدات وتم وضع شروط للرباعية على رأسها أن تعترف حماس بدولة إسرائيل ، فلماذا يصير المجتمع الدولي بالاعتراف بإسرائيل؟؟ ولماذا تسعى إسرائيل بكل ما أوتيت من قوة لفرض الاعتراف بها؟؟ ، وما هي النتائج والآثار لهذا الاعتراف؟؟

ماذا يعني الاعتراف؟؟؟

ينقسم الاعتراف في القانون الدولي العام إلى نوعين: اعتراف ضمني أو اعتراف بالواقع، ويعني الاعتراف بالوجود السياسي للدولة والاعتراف بكيانها، أي الإقرار بحقيقة وجودها.

والنوع الثاني يسمى اعترافا صريحا ومباشرا أو اعترافا قانونيا، ويعني الاعتراف بشرعية وقانونية الدولة وحقها في الوجود.

والاعتراف بين الدول يخضع لقرارات حرة، فقد قرر القانون الدولي حرية الاعتراف بالدول ولم يجعلها ملزمة، والتاريخ يحمل في طياته الكثير من صور رفض الاعتراف بدولة ما، مثل امتناع دول الغرب عن الاعتراف بالاتحاد السوفيتي وقتا طويلا، فقد قررت في اجتماع "كان" عام ١٩٢٢م الامتناع عن الاعتراف بالاتحاد السوفيتي، كما رفضت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاعتراف بحكومة الصين الشعبية التي كانت تسيطر على مئات الملايين من البشر لمدة خمس عشرة سنة، كما لم تطالب الولايات المتحدة الأمريكية الهنود الحمر بالاعتراف بها سواء ضمنيا أو شرعيا.

أما الفقه الدولي الإسلامي فإنه يفرق بين الاعتراف بالوجود والاعتراف بالحق في الوجود، فأما الأول وهو الاعتراف بالوجود، فالفقه الإسلامي يبيح

الاتصال مع العدو لأجل المصلحة والتفاوض معه، وبالتالي الدخول معه في هدنة محددة، وما ينشأ عن ذلك من إقرار حالة السلم، والتعامل مع الواقع دون إعطاء أي تنازل عن حقوقه، أو إقرار على شيء. (١)

لماذا لا يمكن الاعتراف بإسرائيل؟؟

كل البشر لهم الحق الإنساني في الوجود بما في ذلك اليهود، لكن لا يمكن لأي صنف من البشر أن يستولي على أرض غيره، وبالتالي لا حق للصهاينة في الإقامة على أرضنا، وهذه الحقيقة لا تتغير بالتقدم حتى، ولو اعترف كل ساسة العالم بهذه الدولة رضوخاً للقوة أو نزولاً للواقع المرّ.

فالاعتراف بدولة (إسرائيل) أمر لا يمكن أن يقبله أحد ولا يمكن لأحد أن يحكم به أو يتصرف به، فالاحتلال أقام دولته بشكل غير شرعي على أنقاض البيوت الفلسطينية بعد أن هجر سكانها ودمر ممتلكاتهم ، ولا يمكن الاعتراف بشرعية الاحتلال والتعامل معه كصاحب حق في أرض فلسطين، فهذا أمر لا تملكه "حماس" ولا أي فصيل سياسي ولا يملكه أحد في الشعب الفلسطيني ، لأن أرض فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الأرض العربية الإسلامية وهي أرض وقف إسلامي ، والتنازل عنها أو عن جزء منها تحت دعوى الأمر الواقع هو جريمة سياسية ومخالفة شرعية ، نحن نتعامل مع الواقع الحالي على أساس أن هناك دولة احتلال مغتصبة لأرض فلسطين منذ أكثر من ستين عام ، وهذا لا يعني الاعتراف بشرعية هذه الدولة وحققها في التواجد والنمو فوق أرض فلسطين التاريخية. دولة الصهاينة هي دولة احتلال، وستبقى كذلك حتى نرسخ في تاريخنا للأجيال أن هذه الأرض أرض عربية إسلامية وأن هؤلاء هم أغراب ومحتلون.

^١ أسامة محمد المعاصري ، الاعتراف بإسرائيل .. الواقع والفقہ ، إسلام أون لاين

الآثار المترتبة على الاعتراف بإسرائيل:-

يترتب على الاعتراف بإسرائيل وبشرعية وجودها الكثير من النتائج والآثار الخطيرة على القضية الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني وعلى الأرض الفلسطينية ، فالاعتراف سيؤثر على الجغرافيا والديموغرافيا والتاريخ والحضارة ومن بين النتائج المتوقعة من الاعتراف بدولة إسرائيل

١- الآثار السياسية:-

إن أي تفاوض سياسي مع العدو والمحتل الغاصب للأرض وأي تسليم له باغتصابه ووجوده يعد من باب التفريط والتنازل الذي لا يجوز شرعا، فكيف بالاعتراف بـ"دولة إسرائيل"، وبحقها في الوجود والبقاء المستمر؟

فالاعتراف يعني الحق التاريخي لهم بأرض فلسطين ، والاعتراف بإسرائيل يعني فتح الباب أمام كل الدول بالاعتراف بدولة إسرائيل وشرعيتها، فعلى الرغم من مرور أكثر من ستين عام على نكبة فلسطين إلا أن هناك عشرات الدول لا تعترف بإسرائيل ولا تقيم معهم أي علاقة والاعتراف بهم يفتح الباب أم هذه الدول الى أن تتقدم لكي تعترف بإسرائيل طالما أصحاب الحق الأصليين قد فعلوا ذلك ، الاعتراف بإسرائيل يلغي حق الشعب الفلسطيني بأرضه وأملكه التي فقدها مع قيام هذا الكيان، الاعتراف بدولة إسرائيل يعني فتح الباب للكثير من الدول لكي تتعامل مع إسرائيل على أنها كيان سياسي رسمي وان تقيم العلاقات السياسية والدبلوماسية معها وقد تصل الى حد التحالفات الاستراتيجية معها والدفاع عن قضاياها على الرغم من أن بعض الدول تخجل من القيام بذلك.

٢- الآثار الاقتصادية:-

الاعتراف بإسرائيل يفتح الباب أمام جميع الدول أن تقيم علاقات

اقتصادية مباشرة مع هذا الكيان، ونظرا لأن إسرائيل تتفوق على الكثير من الدول من الناحية الصناعية والزراعية والتقنية فإن ذلك يجعل من هذه الدول عرضة لأن تكون تحت هيمنة وسيطرة الطرف الأقوى وأن تصبح الدول الضعيفة دول مستهلكة في حين إسرائيل تصبح دولة مصدرة لهم ، وأن أي انفتاح اقتصادي نتيجة الاعتراف بإسرائيل سيتمح لإسرائيل الى أن تتسلل وتتغلغل في المجتمعات العربية والإسلامية تحت غطاء الشركات والمصانع ويتيح لها من الهيمنة والسيطرة على المقدرات والثروات العربية والإسلامية بشكل طبيعي على قاعدة السوق الحرة

٣- الآثار القانونية:-

الاعتراف بإسرائيل من قبل الشعب الفلسطيني سيعطي لإسرائيل الشرعية القانونية في تملك فلسطين أو جزء منها ،والاعتراف بإسرائيل سيعطي لإسرائيل حق الانضمام لأي مؤسسة أو منظمة غير قادرة حتى الآن الالتحاق بها لأنها بعد الاعتراف ستصبح جزء من الدول المعترف بها في المنطقة وبالتالي يصبح لا وجود لأي مسوغ قانوني لأن تبقى خارج عضوية هذه المؤسسات والتنظيمات ، الاعتراف بإسرائيل يعني الطلب منها بالتوقيع على أي اتفاقيات أو معاهدات إقليمية أو دولية

٤- الآثار الدينية:-

الاعتراف بشرعية إسرائيل هو بمثابة شطب وإلغاء أن فلسطين أرض وقف إسلامي، والتي على أساسها لا يجوز لأي حاكم أو فصيل أو مجموعة أن تتصرف بهذه الأرض وأن هذه الأرض ملك للمسلمين وللأجيال الإسلامية و لا تسقط بالتقادم.

٥- الآثار الاجتماعية:

إن الاعتراف بدولة إسرائيل ستيح لها فرصة التواصل مع المنقذين

العرب والمسلمين وحرية الوصول الى أي تجمع إسلامي أو عربي وإقامة العلاقة معهم ، وكذلك فتح المجال أم السياحة الإسرائيلية أن تتوسع وأن تنتشر ، كما سيعمل الاعتراف على فتح المجال أمام إقامة المخيمات المشتركة وإقامة العلاقة الاجتماعية ما بين بعض الأسر العربية والإسلامية والإسرائيلية وخاصة تلك الأسر التي سيصبح لها مصالح اقتصادية مع إسرائيل ، كل ذلك سيبيح لإسرائيل اختراق النسيج الاجتماعي العربي والإسلامي ونشر الفساد والرذيلة وربط العديد مع منظومة المصالح الإسرائيلية

٦- الآثار الإقليمية :

الاعتراف بدولة إسرائيل سيبيح الفرصة أمامها لأن تقيم علاقات مع دول الجوار والدول الإسلامية وسيسهل الاعتراف عليها ذلك وسيعمل ذلك على فتح باب التطبيع وإقامة العلاقات الدبلوماسية والسياسية والتجارية والاقتصادية بين الكثير من الدول الإقليمية بعد أن امتنعت عشرات الدول من أكثر من ستين عام

٧- الآثار الحضارية والتاريخية:

إن الاعتراف بإسرائيل يعني الإقرار والاعتراف بشرعية وجود هذا الكيان من الناحية التاريخية وكأن لليهود حق بالوجود على هذه الأرض بناء على واقع تاريخي ، والاعتراف بإسرائيل يعني إتاحة الفرصة أما تزييف الجغرافيا والديموغرافيا وحضارة هذه الأرض وتاريخها وكاتبة التاريخ بصورة جديدة عجز اليهود أن يثبتوا طوال سنين التاريخ علاقتهم بأرض فلسطين ولم يستطيعوا عرض أو إيجاد أي دلائل أو شواهد تاريخية تثبت أحقية وجودهم على أرض فلسطين وبالتالي يسعون بكل ما أوتوا من قوة بضرورة أخذ اعتراف من أصحاب الأرض الأصليين بشرعية وجودهم

فالاحتلال رغم قوته وجبروته المادي والحربي، واحتلاله وسيطرته على كل الأراضي الفلسطينية وبعض من الأراضي العربية سواء اللبنانية أو السورية، واعتراف العشرات من العالم بوجوده، إلا أنه وحتى هذه اللحظة يفقد شهادة الميلاد الطبيعية، لأنه يدركون أنهم كيان غريب وطارئ على نسيج الجغرافيا والتاريخ والهوية العربية والإسلامية في العالمين العربي والإسلامي، ويدركون أن السبيل الوحيد لنيل شهادة الميلاد "الطبيعية" يتمثل في اعتراف الفلسطينيين بحقه في ملكية هذه الأرض، أي تنازل صريح وعلني وواضح من المالك الأصلي عن حقه، ودون ذلك سيبقى الشك وعدم اليقين هو سيد الموقف .

لذلك المسألة خطيرة، وليست كما يروج لها البعض بأنها هي فرصة لمد لجسور "الثقة"، بل هي تنازل عن حق ووجود أمة فلسطينية عمرها يزيد عن خمسة آلاف سنة على أرض فلسطين، وهي مصادرة لحق الأجيال القادمة وقطع الطريق على هذه الأجيال بالمطالبة بأرض الآباء والأجداد، وتهديد لهويتهم الوطنية، ومستقبلهم على تلك الأرض ونفي تاريخ وجغرافية إبتائهم وأجدادهم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حق العودة الوضع القانوني

الدكتور / عبد الله أبو جربوع
وكيل وزارة الأوقاف والشئون الدينية المساعد
وأستاذ غير متفرغ في القانون العام

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الحبيب
المصطفى الأمين صلى الله عليه وسلم وبعد :

فما زالت القضية الفلسطينية موضع اهتمام الجميع لأنها على مسرح
السياسة الدولية الأهم بحكم ان الصراع بين أهل الأرض الأصليين المسلمين
وبين اليهود الغاصبين وأحلافهم تحت مظلة الصهيونية العالمية.

وبعد الحراك القوي الذي بدأ في العقد الأخير بعد تحرك أهل فلسطين
للمطالبة بحق العودة لاستعادة حقوقهم التي سلبت بكل الوسائل المشروعة
والقانونية وعلى رأسها المقاومة وأزرهم الكثير من بني العروبة والإسلام
والكثير من الأحرار والشرفاء وأصحاب الضمائر الحية في العالم أصبح من
الضروري التمسك والتحرك بقوة للمطالبة بحق العودة سيما ونحن اليوم
نعيش الذكرى الستين لنكبة احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م والتي سبقتها بفترة
بسيطة سقوط الخلافة الإسلامية.

لذلك سأتناول في ورقتي هذه حق العودة كحق قانوني في المحاور

التالية:

المحور الأول : الرفض القاطع للاعتراف بيهودية دولة الاحتلال لأنه يعني

بالضرورة :-

- إعفاء الكيان الصهيوني الغاصب من جرائم التطهير العرقي التي ارتكبتها بحق شعبنا خلال الستين عاماً الماضية.

- التنازل عن حق العودة للاجئين إلى ديارهم التي هُجروا منها قسراً.

- تبرير وتعزيز الجوهر العنصري لدولة الاحتلال في ممارسة التمييز العنصري لاقتلاع أبناء شعبنا داخل الخط الأخضر، تمهيداً لتهجيرهم قسراً من ديارهم وأرضهم بحجة المحافظة على نقاء يهودية الدولة وسعياً لضمان إبقاء الكتل الاستيطانية في الضفة الغربية وتحت سيادة دولة الاحتلال.

لذلك فإننا نعتبر أن أي اعتراف من هذا القبيل يعتبر بمثابة التنازل عن حق العودة وتكريس شتات شعبنا والقضاء على قضيته وسيتمثل مسؤولية تاريخية كل من يفكر في الإقدام على ذلك.

والسبب المهم في طرح هذا الموضوع أن دولة الكيان طالبت بذلك قبيل مؤتمر أنابوليس وادعى بعض المشاركين من أبناء الوطن برفضهم لذلك المشروع أقول محذراً: فيما سبق قالوا أنفسهم باستحالة الاعتراف بدولة الكيان ثم اعترفوا والآن نفس الفريق وبذات الأسلوب والطريقة إلى قضيه تهويد الأرض.

المحور الثاني: الركائز القانونية لحق العودة، وهي ثلاثة :-

أولاً : الشرعية الدولية: هناك العديد من المواثيق الدولية التي نصت

على حق العودة وعلى رأسها القرار الشهير رقم ١٩٤ في الفقرة رقم (١١)

منه والصادر في الدورة الثالثة للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١١

كانون الأول ديسمبر عام ١٩٤٨ والتي تنص على الآتي :

" تقرر وجوب السماح بالعودة في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وكذلك عن كل فقدان أو خسارة أو ضرر للممتلكات بحيث يعود الشيء إلى أصله وفقاً لمبادئ القانون الدولي والعدالة بحيث يعرض عن ذلك الفقدان أو الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة".

فهذا القرار يدعو بكل وضوح إلى تطبيق حق العودة، ولكل لاجئ الحق في العودة بالإضافة إلى التعويض أيضاً، فهما حقان ملازمان ولا يلغي أحدهما الآخر(١).

كما أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في د ديسمبر ١٩٤٨ نصّ في المادة (١٣) على الآتي.

" لكل فرد حق مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده وفي العودة إلى بلده" وفي نفس هذه النصوص تكررت في المواثيق الدولية الأخرى مثل الأوروبية والأمريكية والأفريقية والعربية (٢).

ثانياً: التوافق الوطني على الثوابت الفلسطينية.

وهذا ما تم في وثيقة الوفاق الوطني التي تم الاتفاق والتوقيع عليها من قبل جميع فصائل الفلسطينية في يونيو عام ٢٠٠٦ والتي جاء فيها بخصوص حق العودة وباقي الثوابت الفلسطينية: (إن الشعب الفلسطيني في الوطن والمنافي يسعى ويناضل من أجل تحرير أرضه وإزالة المستوطنات وإجلاء المستوطنين وإزالة جدار الفصل والضم العنصري، وإنجاز حقه في الحرية والعودة والاستقلال وفي سبيل حقه في تقرير مصيره بما في ذلك

(١) - د. سلمان أبو ستة/ دليل حق العودة ص ١١ .
(٢) - انظر: (حقوق الإنسان، الوثائق العالمية والإقليمية) ج ١. دار العلم للملايين.

إقامة دولته المستقلة كاملة السيادة على جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وعاصمتها مدينة القدس الشريف، وضمان حق عودة اللاجئين والمعتقلين بدون استثناء أو تمييز مستندين في كل ذلك إلى حق شعبنا التاريخي في أرض الآباء والأجداد وإلى ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي وما كفلته الشرعية الدولية بما لا ينقص من حقوق شعبنا).

ولتعزيز كل ما ورد من قرارات دولية بحق العودة فقد وضعت وثيقة الوفاق الوطني إطاراً عملياً لتطبيق ذلك عندما نصت على: "ضرورة العمل ومضاعفة الجهد لدعم ومساندة ورعاية اللاجئين الفلسطينيين والدفاع عن حقوقهم والعمل على عقد مؤتمر شعبي للاجئين تتبثق عنه هيئة متابعة وظيفتها التأكيد على حق العودة والتمسك به ودعوة المجتمع الدولي لتنفيذ ما ورد في القرار ١٩٤ بخصوص حق العودة للاجئين الفلسطينيين وتعويضهم".

ثالثاً : قانون حق العودة للاجئين الفلسطينيين لسنة (٢٠٠٧) :

من القفزات الإيجابية العديدة التي خطاها المجلس التشريعي الفلسطيني الحالي أن شرّع قانوناً خاصاً بحق العودة وتمت الموافقة عليه وبقي تصديق رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية عليه.

في المادة الأولى نص قانون العودة على: "حق عودة اللاجئين الفلسطينيين المتواجدين داخل أو خارج فلسطين إلى ديارهم وأماكنهم وحقوقهم في أي بقعة من فلسطين التاريخية وتعويضهم عن أي أضرار معنوية أو مادية لحقت أو تلحق أو ستلحق بهم وبذريتهم أو بأماكنهم وديارهم وحقوقهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة جراء اللجوء وحتى العودة".

المحور الثالث: لماذا يرفض اليهود حق العودة وبشدة ؟

المتأمل في الموقف الصهيوني يجد نتيجة واحدة وهي أن هناك ما يشبه الإجماع حول رفض "حق العودة" رفضاً مطلقاً على اعتبار أن استعمال هذا

الحق يعني تدمير الدولة العبرية وإلغاء هويتها وكيانها، لأن مشروعية عودة اللاجئين المهجرين سيكون له كبير الأثر على التركيبة السكانية الصهيونية، عبر تلاقهم مع إخوانهم في الداخل والبالغ عددهم زهاء المليون ونصف، بالإضافة إلى الأشقاء في الضفة الغربية وقطاع غزة والذين يزيد عددهم على ثلاثة ملايين نسمة ولذلك كله يطرح اليهود بخبث شديد قضية اللاجئين بالوضع التالي :

١- اعتبار العودة قضية إنسانية وليست سياسية.

٢- ضرورة تحسين الأوضاع المعيشية للاجئين في أماكن لجوئهم، عبر صندوق دولي وقد تساهم فيه إسرائيل.

٣- العمل على توطين اللاجئين حيث هم، عبر اتفاقات دولية.

استدراك مهم:

إن اتفاقية أوسلو المليئة بالسيئات بل كلها سيئة وخطيئة كبرى في حق الشعب الفلسطيني تطرقت لموضوع اللاجئين بطريقة مهينة جداً حيث تضمنت نصاً: "بأنهم سيقومون بمناقشة قضية اللاجئين في المرحلة النهائية من الاتفاق الانتقالي وهي صيغة غير واضحة وغامضة جداً". الآن وبعد أربعة عشر عاماً على اتفاقية أوسلو، فإن المكانة غير الواضحة والغامضة لقضية اللاجئين لا زالت سائدة في الاتفاقيات المختلفة، وخصوصاً عند قراءة وثيقة جنيف وتفسيراتهم المختلفة حول حق العودة.

وحيثما اجتمعت اللجنة الرباعية المكونة من ممثلين عن مصر وإسرائيل والأردن وفلسطين وبعد عدة اجتماعات لم تتفق اللجنة على تعريف "من هو اللاجئ؟" فلم يتفقوا على التعريف كبدائية إذن متى يصلوا إلى حل لقضية اللاجئين في حق العودة لهم؟.

المحور الرابع : العرب وكسر الإرادات لتعزيز حق العودة.

المتأمل في الموقف الرسمي يجد نوعاً من التراجع عن الثوابت المعلنة سابقاً فيما يتعلق بقضية اللاجئين وحقهم في العودة، ويكفي في هذا السياق متابعة التصريحات التي تصدر بين الحين والآخر عن بعض القيادات الفلسطينية في هذا الإطار ، وهنا سنركز على أهم النقاط في التقصير العربي:

- ١- غياب أو ضعف وسائل الإعلام في إبراز قضية اللاجئين وحقهم في العودة إلى ديارهم التي هجروا منها.
- ٢- عدم العمل على فضح القوانين الصهيونية الجائرة التي حرمت هؤلاء المهجرين من أملاكهم اعتماداً على قاعدة " أن ما بني على باطل فهو باطل" ونشر هذا المفهوم بكل الوسائل الإعلامية والقانونية وعلى كافة المستويات.
- ٣- وجود بعض التحركات المشبوهة للالتفاف على قضية اللاجئين، وبروز تصريحات لبعض القيادات الفلسطينية واضح فيها التنازل عن حق العودة والبحث عن حلول بديلة من قبيل التوطين والتعويض.

وفي الختام :

إن حق العودة ممكن وواقعي تحقيقه للمبررات القانونية المتعددة التي ذكرناها، وأن ما يردده اليهود الصهاينة من إدعاءات باطلة لا أساس لها، وعند طرحها للبحث العلمي هي أشبه بخرافات لا مضمون لها.

ولتفعيل حق العودة لا بد من العمل على إشراك العرب عموماً ومنظماتهم غير الحكومية بتنوعها لتصبح منخرطة أكثر في حركة العودة

للشعب الفلسطيني إلى أرضه السليبية ثم التحرك مع الشعوب الإسلامية
بمنظماتها المختلفة للعمل معنا لتفعيل حق العودة.

وبحمد الله تعالى الفعاليات المختلفة التي أقيمت في ذكرى النكبة الستين
هذا العام فاقت الفعاليات السابقة على مدار أكثر من عشرين عاماً فيما سبق
وهذا من بشرىات النصر القادم بإذنه تعالى.

التأصيل الشرعي لحق العودة

الدكتور يونس الأسطل

الحمد لله الذي كتب في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون، ذلك أن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

وبعد...

فإن الحديث عن التأصيل الشرعي لوجوب حق العودة، وعدم جواز التنازل عنه، يكتسي أهمية خاصة في هذه الحقبة، ذلك أن جهوداً كبيرة، ومؤامرات كثيرة، تحاك هذه الأيام لإلغاء هذا الحق الواجب، وهي لم تبدأ في أسلو، ولم تنتهي في المبادرة العربية، ثم بوثيقة جنيف، إذ أنه في أحسن الأحوال يتحدث الواهون عن الحل العادل لمشكلة اللاجئين، وهو يعني التوطين والتعويض، وقد يكون تمهيداً لمنح أبناء فلسطين الجنسية الكاملة بالبلدان التي يقيمون بها، لطمس مشكلة المهجرين والنازحين، وحصر القضية في سكان القطاع والضفة الغربية.

ولما كان هدف العدو أن يستفزنا من الأرض، ليخرجنا منها، حتى تخلو له، فيرتع فيها ويلعب، وهم آمنون من أن يعكر صفوهم من يطالبون بحق العودة إلى ديارهم وقراهم التي أكرهوا على تركها تحت تهديد السلاح، وبالإثخان في بعض القرى ليشرّدوا بهم من خلفهم.

هذا، وقد صدرت العديد من الفتاوى المتعلقة بوجوب التمسك بحق العودة، وتحريم التنازل عنه، أو بيع الأراضي والعقارات للصهاينة، وقد غالى بعض المفتين عندما رأى ذلك نوعاً من الردة، خاصة لمن استحل بيع شبر من أرض فلسطين، وقد ظهر بعض تلك الفتاوى من ثلاثينات القرن

الماضي، ولا زال العلماء المتعاقبون يجددون تلك الفتاوى، دون تغيير في المضمون.

ولعل أفضل دراسة ظهرت مؤخراً حول التأصيل الشرعي لحق العودة، هي دراسة فضيلة الدكتور/ نواف التكروري وقد قامت بعض مواقع الشبكة العنكبوتية بعمل ملخص لتلك الدراسة، لكنه لا يغني عن العودة إلى التفصيل المقنع في دراسة الأستاذ التكروري جزاه الله خيراً.

وقبل التعرّيج على بعض الأدلة النقلية والعقلية هنا تحسن الإشارة إلى أن سورة الإسراء المكية كانت قد جعلت فلسطين أمانة في أعناق المسلمين وهم مستضعفون، ذلك أن الإسراء إلى المسجد الأقصى في وقت قد مضى عليه أكثر من ستة قرون، وهو أسير تحت الهيمنة الرومانية، ثم تنزلت سورة الإسراء، فأخبرت أن بني إسرائيل يفسدون في أرضنا مرتين، وأنهم يعملون علواً كبيراً، ليكون هذا معرضاً لهم لسنة الله التي أخذت القرى وهي ظالمة حينما فسق فيها مترفوها، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً، فكيف إذا كان من فيها هم الذي يسعون في الأرض فساداً، وكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله؟!.

لذلك كان حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزحف تلقاءها في مؤته ثم في تبوك، ومن بعدها بعث أسامة، ولكن المعركة الفاصلة التي فتحت الطريق إلى بيت المقدس هي اليرموك، ومن يومها فقد أوقفها عمر بن الخطاب بمشورة الصحابة الأولين على ذراري المسلمين إلى يوم الدين.

ولا شك أن التأصيل الشرعي أولى بكثير من الحق القانوني، أو حظر التنازل عن حق العودة بالتشريع البرلماني، أو الحديث السياسي العقلي المحض، لما فيه من تحريضنا على الثبات، وإغراء اللاجئين بعدم التفريط فيه، وهذا لا ينقص من الجهود المباركة للحفاظ عليه، وكان من آخرها ما

صدر مؤخراً عن المجلس التشريعي، حيث جرى تحريم التنازل عن حق العودة، وتجريم فاعليه، وأنه حق مشترك بين الفرد والمجتمع، فلا يملك أي منهما أن يفرط فيه.

أما عن الأدلة الشرعية التي وردت في ثنايا الفتوى والدراسات فهي أدلة عامة، لا تتناول حق العودة بالنص، ولكنه يندرج في عمومها، وهي في مجملها أدلة قرآنية، مع ما تيسر من السنة، ثم المعقول، والمعلوم أن العقل ردةً للنقل، وقد صنف ابن تيمية وغيره في درء تعارض العقل والنقل، إذ إن صريح العقل لا يعارض صحيح النقل بتاتا.

أ- من القرآن :

تكأ العلماء على طائفة من النصوص المرنة في دلالتها، ومنها:

١- (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ) (الأنفال: ٦٠)

فقد دلت على أن إرهاب العدو من مقاصد التشريع، لا ينكر عاقل أن التشبث بحق العودة، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بالضغط على العدو الصهيوني، من شأنه أن يرهب العدو، لأنهم يراهنون على أن يموت الكبار، وينسى الصغار، فإذا وجدوا الجيل الثالث الذي ولد في الشتات أكثر استمساكاً بحق العودة، أصابهم الذعر، وباعت مكائدهم بالفشل.

٢- قوله سبحانه: (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ١٩١)

فقد دل هذا النص على أن الحرمات قصاص، وأن من اعتدى عليكم، بأن أخرجكم من دياركم، أو ظاهر على إخراجكم، أن تعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، ولما كان اليهود قد شردونا من ديارنا بغير حق إلى أن تقولوا: ربنا الله، وإلا أن تؤمنوا بالله العزيز الحميد، فإن آية البقرة توجب علينا أن نخرجهم منها أذلة وهم صاغرون، ولا شك أن الإصرار على حق العودة حق يتحقق بضرب بسهم كبير في إخراجهم من حيث أخرجوكم، ذلك أن بقاء ما يزيد عن المليون، لمن يعرفون بعرب (٤٨)، يراه الصهاينة خطراً عليهم، لاسيما بعد زحف الصحوة الإسلامية إليهم، ومشاركة بعضهم في دعم المقاومة، فيكف لو عاد قرابة خمسة ملايين من المقطعين في الأرض؟!.

٣- وقوله جل وعلى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْأُونَ مَوْطِئًا يُغَيِّظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة: ١٢٠)

إنه ما من شك في أن عودة اللاجئين تعد موطئاً يغضب الكفار المحتلين، وتقال من أمنهم نيلاً ليس باليسير، وأن الإعراض عن حق العودة ممن ارتبطوا اقتصادياً بأرض المهجر، أو زهدوا في الإياب، إيثاراً للسلامة، وركوناً للأمن، أنه يعد تخلفاً عن الجهاد، ورغبة بنفوسهم عن نفوس إخوانهم المرابطين هنا في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس.

ولو أننا ذهبنا نتبع أمثال هذه النصوص لطلال المقام، لاسيما على القول بأن عدم الاهتمام بحق العودة يصنف في الخيانة لله والرسول، ثم للأمانات بدعوى أنه من أكبر الخدمات التي يقدمها أولئك الغافلون للاحتلال، فهو يرغب في الظفر بالأرض دون أن يزعجه أحد، لا بالمقاومة المسلحة، ولا

بالمقاومة القانونية، ولا بالصراع السكاني الذي يجعلنا بعودة المطرودين، أكثر عدداً من عدونا، وأنه مهما تمكن أن يقتل منا فلن يستطيع إضعافنا، فضلا عن استئصالنا.

ب- من السنة:

لما أذن الله جل وعلا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الخروج مهاجراً إلى المدينة، ما كاد يبرح بنيانها حتى خاطب مكة والبيت الحرام، فقال: "إنك لأحب البلاد إلى الله، وأحبها إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"، فكان مما أنزل عليه في أثناء الطريق: (وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) (محمد: ١٣)

وكذلك قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (القصص: ٨٥)

لذلك فإنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على هزيمة قريش، والعودة إلى مكة فاتحاً، ومن هنا فقد لاحق قريشاً بالسرايا التي أذقتهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، بدءاً بسرية عبد الله بن جحش في العام الأول للهجرة، إلى أن جاءت معركة بدر، وما تلاها، ولما انهزم الأحزاب يوم الخندق أعلن عليه الصلاة والسلام انتهاء المرحلة الدفاعية، بأننا من اليوم فصاعداً نغزوهم ولا يغزونا، فنحن الذين نسير إليهم، لذلك فقد زحف في العام السادس إلى الحديبية، فوقع الصلح، ثم إنهم حين نقضوه داهمهم بعشرة آلاف مقاتل، وفتحها عنوة، وزال الشرك عن مكة، وتحقق حلم العودة للمهاجرين.

لذلك فالواجب علينا أن نقاتل في سبيل الله لتطهير فلسطين من دنس الصهاينة والتمهودين، وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟!.

إن التمسك بحق العودة أضعف الإيمان في مقاومة حزب الشيطان من اليهود والأمريكان، ومن أهل الأوثان والعربان، وإن التأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا من أوجب الواجبات.

ج) من المعقول:

لا يُعوزُ المرءَ أن يرصد عشرات الأسباب الموجبة لحق العودة، خاصة وأن قداسة هذه الأرض وطهرها قد تدنس بمن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب، أولئك الذين يقولون، عزير بن الله، يضاؤون بذلك قول الذين كفروا من قبل، بل قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءهم البينات، واعتدوا في السبت، فقال الله لهم: كانوا قردة خاسئين، وتأذن لبيعن عليهم يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وقد ضربت عليه الذلة والمسكنة، فمن يحقق فيهم قدر الله عز وجل، ويعيدهم في الذلة تارة أخرى لو فرطنا في حق العودة، والقيام لتحقيقه بالقتال في سبيل الله!؟.

فإذا علمنا أن الله تبارك وتعالى قد وصم اليهود بأنهم شر الدواب عند الله، وأنهم خطرٌ مستطير على الخليقة، وليس على البشر وحدهم، فضلاً عن المسلمين وأهل فلسطين، فقد صار لزاماً علينا أن نجاهدنا بهذا الدين جهاداً كبيراً، إذ لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين، وإن العز على حق العودة بالنواجذ أضعف الإيمان في هذا الميدان.

فإذا نظرنا إلى خطر اليهود على أخلاقنا وفكرنا وثقافتنا، وعلى ديننا وأعراضنا، أدركنا عظم الأمانة والتكليف المنوط بنا في مجابهة هذا الاخطبوط، أو السرطان، أو الداء العضال، حتى نسلم أنفسنا من الهلاك

المصدق بنا، وما لم يؤازرنا إخواننا اللاجئين بالعودة ومن ورائنا أمتنا العربية والإسلامية فما نحن بمطيقين جالوت وجنوده من الصهيونيين.

والخلاصة: أن العودة ليست حقاً اختيارياً، بحيث يمدح فاعله، ولا يذم تاركه، إنما هي عقيدة وفريضة، المفروطة فيها مفروطة في دينه، وفي طاعة ربه عز وجل، وزاهد في الآخرة، ركوناً إلى الحياة الدنيا، واطمئناناً بها، وهم بذلك قد باؤوا بسخط من الله، وماتوا ميتة جاهلية، ما لم يتوبوا من قريب، ويسارعوا إلى إرهاب الكفار، وإغابة المحتلين، بالسعي الحثيث لتحقيق واجب العودة، وإخراج اليهود من حيث أخرجونا، وإعادتهم إلى الذلة والمسكنة، بل إلى تقطيعهم في الأرض أمماً، وجعلهم أحاديث وتمزيقهم كل ممزق.

ولن تتحقق هذه العودة إلا بالعودة إلى الدين، وإلى الأخوة والوحدة، وإلى القتال صفاً، كأننا بنيانٌ مرصوص، وإلى التكافل وأسباب الصمود، ولن يتحقق كل أولئك إلا إذا علمنا أننا لاجئون من الجنة، وسبايا إبليس، فتحررنا من عبوديته، واتبعنا الهدى، وعلمنا أنكم لن تدخلوا الجنة حتى يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين.

والحمد لله رب العالمين

توصيات المؤتمر

- تأكيدُ حق العودة للاجئينَ والنازحينَ والمهجرينَ الفلسطينيين إلى كل الأرض الفلسطينية التي أُخرجوا وهجروا منها، باعتباره حقاً فردياً وجماعياً لا يمكن لأبيّ أحد كان المساومةً عليه أو التنازلُ عنه. وتأكيدُ حق الشعب الفلسطيني بممارسة جميع حقوقِ الوطنية على أرضه التاريخية، بما في ذلك حقوقه السياسية كغيره من الشعوب.

- دعوة العلماء لمزيد من التأصيل الشرعي في حظر التنازل عن حق العودة، لما فيه من التحريض على الثبات، وإغراء اللاجئين بعدم التفريط فيه، وهذا لا ينقص من الجهود المباركة للحفاظ عليه، وكان من آخرها ما صدر مؤخراً عن المجلس التشريعي، حيث جرى تحريم التنازل عن حق العودة، وتجريم فاعليه، وأنه حق مشترك بين الفرد والمجتمع، فلا يملك أيّ منهما أن يفرط فيه.

- إيماناً بحقنا الديني والتاريخي في مدينتنا المقدسة.. وتأكيداً لحقنا الكامل في كل ذرة تراب فيها.. فإن علماء فلسطين يعلنون التمسك بها عاصمة سياسية للدولة الفلسطينية. وأن تظل فلسطين جزءاً من عقيدتنا وتاريخنا وحضارتنا، وعنوان انتمائنا، وأن نبقي حماة وسدنة أوفياء لها، ونعاهد الله عز وجل أن تظل فلسطين حاضرة في قلوبنا وعقولنا ومشاعرنا.. لا نفرط في ذرة تراب منها، فالاعتراف بدولة تسمى (إسرائيل) أمر لا يمكن أن يقبله أحد، ولا يمكن لأحد أن يتصرف به، فالاحتلال أقام دولته بشكل غير شرعي على أنقاض البيوت الفلسطينية بعد أن هجر سكانها ودمر ممتلكاتهم، وأرض فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الأرض العربية الإسلامية، وهي أرض وقف إسلامي،

والتنازل عنها أو عن جزء منها تحت دعوى الأمر الواقع هو جريمة سياسية ومخالفة شرعية.

- مطالبة علماء المسلمين تعريف الشعوب المسلمة بنتائج نكبة الشعب الفلسطيني وحشد كل القوى والطاقات والوسائل لإحداث تعبئة وتوعية في الأمة وإيقاظ الهمم وشحذها، بالإضافة إلى التأكيد على عروبة فلسطين وإسلاميتها، ورفض أي حلول تقضى بإعطاء الوصاية لليهود على أي جزء من فلسطين.

- دعوة علماء الأمة للقيام بدورهم في إنكاء روح الجهاد والمقاومة في الشعوب العربية والإسلامية حتى يتم تحرير فلسطين من براثن المحتل الصهيوني الغاصب. وفضح المكائد اليهودية التي تستهدف تهويد القدس وفلسطين.

- دعوة الشعب الفلسطيني إلى مزيد من الصبر والثبات فبهما سنصل إلى الحقوق، ونتصدى لفكر الهزيمة واليأس، فالوصول إلى الحرية والاستقلال ما زال يحتاج إلى مزيد من الجهاد والتضحيات.

- رفض مشاريع التوطين للاجئين الفلسطينيين، فكلها مشاريع أمريكية صهيونية قاومها الشعب العربي الفلسطيني وأسقطها من قاموسه الوطني.

- حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هُجروا منها قسراً هو حق قانوني وشرعي. وهو حق ممكن، وواقعي تحقيقه، للمبررات القانونية الدولية، وأن ما يردده اليهود الصهاينة من إدعاءات

باطلة لا أساس لها، وعند طرحها للبحث العلمي هي أشبه بخرافات لا مضمون لها.

- إن المبادرات التي دأبت على طرحها الإدارات الأمريكية المتعاقبة في نهاية ولايتها لا يمكن أن يكتب لها البقاء لأنها ببساطة تأتي في الوقت الضائع من عمر هذه الإدارات، وهو ما لا يمكنها من فعل شيء وخاصة في قضايا شائكة ومعقدة من قبيل قضية اللاجئين الفلسطينيين والقدس والدولة الفلسطينية والاستيطان وغيرها.

